رواية

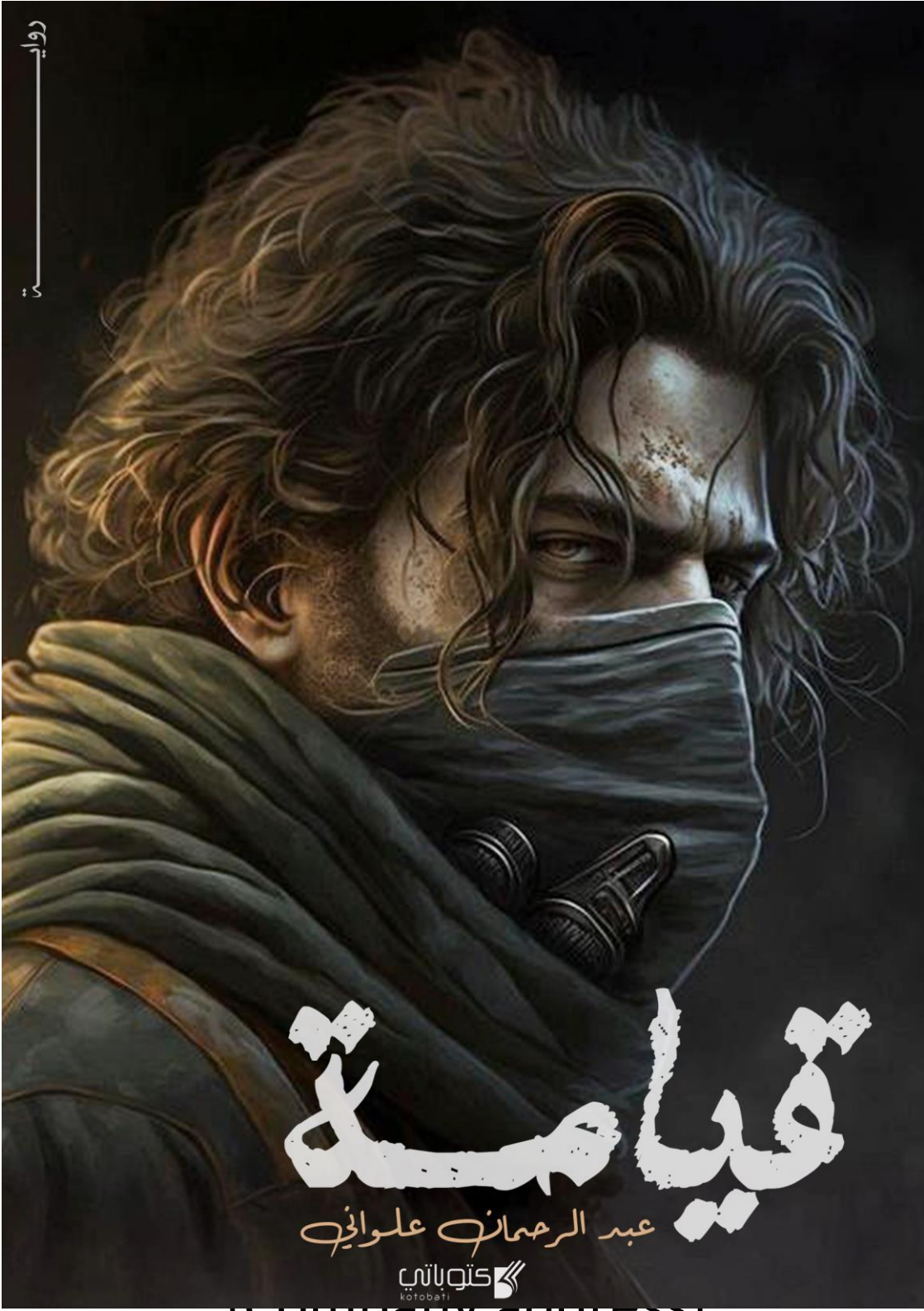

قيامة

عبد الرحمان علواني

كتوباتي
kotobati

قيامة

عبد الرحمان علواني

رواية

الكتـــــــــــاب: قيامة

تـــــــــــأليف: عبد الرحمان علواني

النوعيـــــــــــة: رواية

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

نبذة 7
مقدمة 8
الفصل الأول 9
الفصل الثاني 13
الفصل الثالث 17
الفصل الرابع 24
الفصل الخامس 29
الفصل السادس 33
الفصل السابع 36
الفصل الثامن 39
الفصل التاسع 43
الفصل العاشر 47
الفصل الحادي عشر 55
الفصل الثاني عشر 62
الفصل الثالث عاشر 69
الفصل الرابع عشر 74
الفصل الخامس عشر 78
الفصل السادس عشر 84
الفصل السابع عشر 89
الفصل الثامن عشر 95

الفصل التاسع عشر 100
الفصل العشرين 105
الفصل الحادي والعشرين 109
الفصل الثاني والعشرين 113

بسم الله الرحمان الرحيم

إذا أردت سعادة تدوم،

ابحث عن الاكتفاء

نبذة

عدالة المرتشين وقسوة المجتمع، كلتاهما شاركتا في نحت الغصن اليانع ليتحول إلى رمح مشرع". خالد"، منحه السجن كل ما يحتاجه من مهارات ليصير مجرما أسطوريا يحكم الكواليس.

قلة من يعرفون أهدافه، وأنا واحد منهم. قد يعتبره البعض وغدا من أوغاد الظلام، لكن سره يبقى محيزًا بين القليلين الذين يعرفون حقيقة أهدافه, فإن كنت تريد أن تكون من هؤلاء اللذين يعلمون، يمكنك مرافقتي في رحلتي بين الصفحات.

مقدمة

في عالمٍ تملؤه الغموض والمؤامرات، تُصبح الأرواح ملكًا لما وراء الكواليس. هذه هي قصة ملك، رجلٍ انتُزعت حريته بظلم وأُلقي في زنزانة مظلمة.

لكن بينما كان يتأوه تحت وطأة الظلم، تحوّل إلى مجرم يملك مهارات خفية، وعندما تم إطلاق سراحه، تبدأ ملحمته المظلمة في عالم الجريمة حيث يكوّن إمبراطوريته الخاصة خلف الكواليس، ممزوجة بالانتقام والخيبة.

ترقبوا قيامة ملك خلف الكواليس وكيف يرسم مصيره بين الظلام والنور.

الفصل الأول

وقف خالد في قفص الاتهام، شاردا يحدق في الفراغ، بشموخ حير الصديق قبل العدو. لم يكن أبدا على الحالة التي تخيله عليها الجميع، لم تعكس عيناه نظرة ندم أو حزن، بل امتلأتا نشوة وشماتة نحو عائلة القتيل، سرعان ما تحولت إلى اتهام ما إن استدارت لتواجه مجلس القضاء، حالما سمع القاضي يتلو جريمته، ليتبعها بحكم بالسجن لمدة عشرين عاما، كان بردا وسلاما على قلبه، كحد السيف على أقاربه ورفاقه الذين حضروا اليوم ليشهدوا غصنا يافعا وهو يجز على أيدي المرتشين بوحشية .

نزل القاضي من مكتبه متجها نحو باب الخروج، ثم انحرف عن مساره ليحاذي رجلا يرتدي بذلة فاخرة وتبدو عليه ملامح الثراء الفاحش، تعلو ثغره ابتسامة متشفية غير عابئ لا بأصوات الأنين والآهات التي انطلقت من كل جوانب القاعة ولا بذينك الذين وقفا يودعان ولدهما بالدموع والشهقات، إلى أجل لا يعلمان أيسعفهما العمر في بلوغه أم لا .

عزى القاضي الرجل في فقيده ثم استقبل منه بضع همسات كان من الواضح لخالد أنه محورها، ليلتفت له القاضي أخيرا، غمزه في غفلة من الحاضرين،

ثم وجه له الحديث في لهجة أرادها متطوعة ناصحة،ليبعد عنه الشبهات، في حين أنها كانت تلبية لأوامر صاحب البدلة:

ـ لقد قضي الأمر، لديك الوقت لتصلح نفسك، العشرون عاما القادمة كفيلة بتهذيبك. والآن، قبل أن تودع العالم الخارجي وفي لحظاتك الأخيرة، حاول أن تمحو جزءا من أخطائك، اذرف دموع الندم اركع وقدم اعتذارات صادقة لهذه العائلة التي أفقدتها فلذة كبدها، لعلك تطيب بعضا من جراحها .

اخذ خالد يحدق ببصره في القاضي الذي اتسعت ابتسامته حالما طبطب الرجل على كتفه كنوع من الشكر، عندما رأى خالدا يهم بالرد، ظنا أنه سيكون اعتذارا مصحوبا ببعض الندم أو بنظرة عين كسيرة.

لكن خالدا خيب آمالهم حيث كان رده عبارة عن ابتسامة صفراء أتبعها ببصقة، تعبيرا عن اشمئزازه واحتقاره لكليهما .

ولم يفق إلا على رجلي الأمن وهما يوسعانه ضربا بهراوتين غليظتين استجابة لإشارة القاضي، وبعد مدة وجيزة قضاها ملقى على الأرض بسبب ما نال جسده الصغير من ضربات. أوقفه احد الرجلين يصفد يده ثم أخذ يسحبه بعنف حيث سيقضي العشرين عاما القادمة بتهمة القتل العمد .

ولما أحس بدنو ساعة الصفر، سقط عنه قناع اللامبالاة والتفت يبحث عنها في أرجاء القاعة كغريق يبحث عن حبل النجاة .

رآها هناك في أحد الأركان تقف بجانب أخته التي تكومت على الأرض تواسيها، بقي ينظر لها مبتسما، يتمنى لو يحظى بالتفاتة من عينيها لتكون آخر ما يراه قبل أن يغيَّب عنها ردحا غير يسير من الزمن،

وكان له ما أراد بل أكثر إذ تقدمت نحوه بمشاعر مختلطة ما بين ابتسامة ودموع لتهمس في أذنه بكلمات أيقن أنها سوف تكون سلواه في ما هو قادم .

اليوم الأول، قضاه في زنزانته المعتادة منذ بدأ التحقيق في القضية، ريثما يجدون له زنزانة مناسبة وكم كان سعيدا بآخر يوم يقضيه وحيدا، ليتمكن من ترتيب أفكاره بهدوء والتجهز للمرحلة القادمة التي كان متأكدا من أنها ستكون عسيرة، فالحياة في السجن تماثل في خطورتها الحياة في الأدغال بين آكلات اللحوم .

خاصة أنه متأكدا أن الإهانة التي وجهها للقاضي أمام الجميع لن تمر بسلام وأن مصيره سيكون زنزانة يحتلها أعتى السجناء ليعلموه الأدب كما أخبره القاضي قبل أن يفك أصفاده ويدخله هذا السجن الانفرادي المقيت .

و في اليوم الموالي حضر مجموعة من رجال الأمن ليقوموا بنقله إلى زنزانة جماعية حيث موطنه الجديد .

فأي أهوال سيلاقيها هناك و إلى أي نوع من الأشخاص ستحوله الأيام القادمة، أستربيه فعلا أم أن للقدر رأيا آخر؟

الفصل الثاني

دلف إلى الزنزانة بوجه جامد خال من التعبير وعينين انطفأ بريقهما فاستحالتا ككرتين زجاجيتين، لا تعكسان انفعالات أو مشاعر، يخالها الرائي عيني شخص فارق الحياة .

نظرة واحدة سريعة لأرجاء الزنزانة كانت كفيلة بالنسبة له لمعرفة ما تخبؤه الدقائق القادمة، فقد انقسم السجناء إلى قسمين، قسم كان يتحلق حول كهل في الخمسين من عمره ويبدو وكأنهم يتشاورون في أمر ما، والقسم الآخر وقف متأهبا .

وما إن أغلق الباب حتى انطلقوا نحوه يكيلون له الركلات واللكمات حتى أضحى عاجزا عن الحراك، وفجأة توقف كل شيء حوله، حاول أن يرى ما حدث، لكن عينيه المتورمتين لم تسعفاه، فاكتفى برؤية ضبابية منحتها له العين اليمنى التي استطاع فتح نصفها، ليجد نفسه محاطا بعدد من رجال الكهل أداروا ظهورهم نحوه ووقفوا متحفزين ليمنعوا أي محاولة للاعتداء عليه، بعد أن أمروا بالتدخل و إيقاف وصلة التعذيب، كان ذلك آخر ما رآه قبل أن ينطلق في رحلة الا وعي .

تململ في نومته على إثر بعض الأيادي التي انطلقت تعبث بجسده هنا وهناك، وما إن أدرك ما يحصل، أو بالأحرى ما سيحصل، حتى قفز من نومته مذعورا،

أراد الصراخ ولكن يدا امتدت من الظلام لتكتم صوته، بينما أيد أخرى تحمله بعيدا نحو الحمام الملحق بالزنزانة .

وهناك تم إلقاؤه على الأرض، بقي عقله لحظات يحاول استيعاب الموقف الحرج الذي وضع فيه، فهاهي بعض الأيد القذرة توشك أن تلوثه وتنتهك جسده .

انتفض مذعورا بمجرد أن أحس بيد تربت على وجهه بطريقه مقززة، كاد أن يستسلم لمصيره خوفا، لكن كلماتها الأخيرة رنت في عقله": لا تقلق لقد تخلصت من عيبك الوحيد، الجبن "

ما إن مرت بخاطره كلماتها الدافئة حتى استيقظ عقله من هوة الخوف وأخذ يبحث عن سبيل للنجاة.

قفز إلى الخلف وأخذ يتلفت هنا وهناك، يبحث عن شيء يستطيع به رد العدوان عن جسده، ولحسن حظه تعثر أثناء تراجعه في جنزير حديدي صغير، رأى فيه طوق نجاة، فأشرعه في يده نحو المعتدين، لكن الرجال الثلاثة لم يبد

عليهم الخوف، بل ارتفعت ضحكاتهم هازئة، كصياد يقف مسرورا يتابع بصبر اختلاجة فريسته الأخيرة، قبل أن تسلم لمصيرها وتعانق الشباك .

لم يعد له من مفر، لقد بلغ الحائط، لم يعد بوسعه التراجع أكثر من ذلك. وفجأة رنت في عقله فكرة نفذها على الفور، فقد قفز نحو أقربهم إليه وعاجله بطعنة اخترقت عنقه وجعلته يسقط على الأرض وحوله بركة من الدماء تتوسع شيئا فشيئا .

وقبل أن ينقض الاثنان الباقيان عليه،فوجئ بالكهل ورجاله يقتحمون الحمام ويكبلون الرجلين، وبإشارة من الخمسيني لأحدهم، انطلق نحو خالد وحمله نحو حوض المغسلة، وهو شبه مغيّب، ليساعده في تنظيف يده وملابسه من آثار الدماء،التي كانت لحسن الحظ قليلة وخفيفة مما سهل إزالتها بسرعة .

و في الأثناء، أخذ شخص آخر منديلا مبللا واقترب من الجثة بحرص ليضمن عدم لمسها حتى لا يخلف بصماته عليها أو تلوثه الدماء، دنى من القطعة الحديدية المغروسة في عنق الجثة ليمسح طرفها بمهارة مزيلا بصمات خالد. وعلى الجانب الآخر، خارج الحمام، كان خالد يرى ما جعل عينيه تتسعان بانبهار وشعور مجنون يتخلله، وجذوة من الهوس بالقوة والسيطرة اشتعلت داخله .

فأي الألوان سترتدي هذه الجذوة، الأبيض أم الأسود؟

الفصل الثالث

خرج الجميع من المرحاض، وهناك، كان جميع المساجين قد استيقظوا، وانتبهوا للجثة التي توسطت أرض الحمام .

تمعن خالد في الجثة وفكر في نفسه أن عقوبته ستمتد من السجن عشرين عاما إلى المؤبد أو ربما تصل الى الإعدام, وما إن جالت الفكرة بخاطره حتى أصابه الفزع واتسعت عيناه، وأخذ يحرك رأسه بهستيرية .

وكأنما قرأ الكهل ما يجول بخاطره، فضرب بقبضته الحائط ليتحلق رجاله حوله بشكل مهيب، ومع الضربة الثانية تعلقت به أبصار جميع المساجين، حتى خالدا، ثم قال بصوت مرتفع ليسمعه كل السجناء :

ـ من قتل هذا الرجل؟

ـ لا نعلم، عندما استيقظنا كان الجميع في أماكنهم ولما رأينا الدماء تتسرب من تحت الباب، حاولنا اختلاس النظر، فوجدنا عاصي مقتولا .

هكذا ترددت الكلمات في كامل أرجاء الزنزانة، اختلفت طرق التعبير والمعنى واحد .

شعر خالد بالاستغراب لما يحصل، فالأغلبية، إن لم يكن الجميع يعلمون انه القاتل،ولكن على كل، يبدو أن ذلك الرجل يتحكم بالجميع هنا، قاطع استغرابه وقوف

احدهم أمامه ليقول له:

ـ لقد سيطر الحاج طه على الوضع، يمكنك العودة إلى فراشك مطمئنا، لن يحدث هذا مرة أخرى، فالجميع قد علم أنك في حمايته .

طأطأ خالد رأسه إيجابا، فلم يكن يملك القدرة ليناقش ما رآه اليوم، ثم اتجه نحو فراشه واستغرق في نوم عميق .

وفي صبيحة اليوم الموالي استيقظ على أصوات المفتشين ورجال الأمن وهم يستجوبون الجميع عن حادثة البارحة، وقد جن جنونهم من الأجوبة المتماثلة التي تلقوها، والتي أفاد الجميع فيها بأنهم لا يعرفون شيئا،بما فيهم زميلي القتيل. لاحظ خالد اقتراب مدير السجن من الحاج، فدنا منهما محاولا معرفه فحوى حديثهما الذي كان كالآتي:

ـ حاج طه، أعلم بأنك تعرف القاتل كما يعرفه كل هؤلاء الملاعين، لكني لن أدقق في التفاصيل، وستسجل القضية ضد مجهول، لثقتي بأنك ما دمت

تسترت على هذه الجريمة الشنيعة فهذا يعني أن الضحية تستحق القتل خاصة أنها ذات سوابق في الإعتداء على الأطفال وربما كان سبب قتله الفتى الجديد .

اكتفى الحاج طه بابتسامة صغيرة ردا على كلام المدير. وبعد انصراف الجميع، وخلو الزنزانة إلا من نزلائها، نادى الحاج طه على خالد ليعرف سبب حبسه .

وبعد أن استمع إليه وعلم أنه دخل السجن لأنه قتل شخصا دفاعا عن شرف أخته، حيى فيه شجاعته، وضمه إلى جماعته ليوفر له الحماية، وزوده بنصائح عن كيفية العيش داخل هذا المكان الذي تحكمه القوة .

ومن الغد بدأ خالد بإعداد جدول يومي لحياته، ليضمن أن السنوات القادمة لن تضيع هدرا .

وساعده في ذلك الحاج، حيث أوصى أولاده بأن يصطحبوا معهم مجموعة من الروايات والكتب والدفاتر والأقلام في المرة القادمة التي يزورونه فيها، ليتمكن خالد من ممارسة هواياته داخل السجن، ومن يعلم، لعل كتاباته تفيده لاحقا .

أصبح وقت خالد مقسما بين القراءة والكتابة، بيد أن السواد الأعظم منه كان يقضيه في ممارسة التمارين الرياضية، هدفه من ذلك أن يصبح سيدا للسجن يوما ما لينشر عدالته ويذود عن الضعفاء الذين سيكونون حتما فريسة بين أنياب الذئاب البشرية، في هذا المكان القذر .

بعد ثلاث سنوات من هذا الحوار

بدى الحاج طه مستغرقا في التفكير، فأسبوع واحد يفصله عن الخروج من السجن الذي دخله العديد من المرات، لم تتجاوز أطولها الثلاثة أشهر بفضل محاميه الداهية، وتدخلات أعضاء المافيا الذين لهم صلة برجال الدولة الكبار، لكن الغياب هذه المرة قد طال، فالمدة تجاوزت خمس سنوات .

استدعى طه خالدا ثم انتحى به زاوية بعيدة ثم حدثه قائلا :

ـ لقد قضيت معي في هذه الزنزانة ثلاث سنوات أصبحت فيها ذراعي الأيمن، رغم أنك لا تعلم حتى ماذا أعمل أو لأي سبب دخلت السجن، أو حتى لماذا أملك أتباعا ومكانة لا يملكها غيري في هذا المكان الذي يفترض أن أكون فيه مجرما ذليلا أعاقب على أخطائي .

ـ تعلم أنني لست فضوليا، ولا أحكم على الأشخاص إلا بما أراه أمامي، ومهما تكن مهنتك أو ماهيتك ستظل الشخص والسيد الذي يحترمه الجميع، وبالنسبة لي النقطة البيضاء الوحيدة في هذا المكان .

ـ عدم فضولك هو إحدى الخصال التي جعلتني أفضلك عن غيرك، وأيضا أشكرك على ثقتك بي، لكن، غالبا لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن، فثقتك بي ليست في محلها، فأنا واحد من زعماء المافيا في العالم، كنت أنجو من السجن بفضل المحامين المهرة الذين نستعين بهم في عملنا، لكن، هذه المرة طالت المدة، لأن المأزق كان أكبر من أن يتم التستر عنه بالرشاوي أو التدخلات.

ـ كنت أعلم أنك ستكون شخصا عظيما في نهاية المطاف فهيبتك لم تخلق لتكون عبثا، ولكن لم تخبرني بهذا الكلام الآن .

ـ بصراحة لقد استغربت ردة فعلك، ظننت أنك ستثور وتتهمني بالخداع وستقسم أنك لن تعرفني بعد اليوم، لكن، على كل لقد أسعدتني، استدعيتك لأعينك مكاني في السجن، فكما تعلم أسبوع واحد فقط وأعود إلى مزاولة حياتي الطبيعية، وأعتقد أنك الأفضل لهذه المهمة، فقد تكيفت مع ظروف السجن في فترة وجيزة وأصبحت الأقوى، وهزمت الجميع في المبارزات

اليدوية، حتى أنك أصغر شخص حصد لقب "الملك"، وحسب قانون السجناء، فالزعامة لك الآن.

ـ شكرا لإطرائك، ولكني أشك أنك استدعيتني لتعلمني بأمر أعلمه سابقا .

ضحك طه بصوته كله حتى اجتاحته نوبة من السعال، وما إن هدأ حتى واصل كلامه ببسمة لطيفة :

ـ أريدك أن تعلم أنني موجود من أجلك دائما، وستبقى مكانتك عندي، كابن لم يكن يوما من صلبي، وكما وعدتك سأحمل كتاباتك إلى العالم، وأتكفل بنشرها بموجب التوكيل الذي منحتني إياه، أما الأمر الذي استدعيتك من أجله، فهو أمر انضمامك إلى صفوف المافيا فأنت تملك سبعة عشر سنة أخرى تقضيها بين القضبان، ويمكنك فيها أن تكون جندي المافيا المصرية الأول في السجن، وهكذا تجد رصيدك ممتلئا عندما تخرج، لقاء مهماتك التي ستتكفل بها، ومهما كان ردك على ذلك، فاعلم أن كلامي معك قبل قليل عن ماهيتك بالنسبة لي لن يتغير.

ـ أشكرك على كل ما فعلته ولا زلت تفعله من أجلي طيلة هذه السنوات، ولكن أرجو أن تمنحني فرصة للتفكير في هذا العرض المخيف .

ـ حسنا، أحترم رغبتك وأرجو منك أيضا أن تواصل حياتك بهدوء في غيابي، كما كنت تفعل دائما وأنا موجود، فقد أستطيع عند خروجي أن أقوم بعدة تدخلات تقلص عقوبتك إلى النصف، مكافأة لك كسجين مثالي .

ـ أتمنى أن يأتي ذلك اليوم سريعا .

مر الأسبوع سريعا وها قد جاء اليوم الموعود،

وقف خالد يعانق طه الذي أدمعت عيناه واتسعت ابتسامته بحنان، وهو يودع خالد، وقبل أن يخرج مباشرة همس له الأخير بموافقته على العرض الذي قدمه له قبل أيام .

فأجابه الحاج بأن الأوامر ستصله عن طريق أحد الحراس المرتشين، ثم سلمه ورقة تحتوي على طريقه استخراج تلك المعلومات .

ثم تعانق الاثنان عناقا أخيرا قبل أن تفرقهما الأقدار التي قد تجمعهما لاحقا.

الفصل الرابع

مضت ستة سنوات منذ أن افترق خالد والحاج طه .

ستة سنوات حصل فيها الكثير، فخالد أصبح معروفا للجميع، وصارت مكانته محفوظة لدى زعماء العصابات في مختلف الزنزانات، إضافة إلى سجله الحافل بالمهام التي نفذها من اجل المافيا دون أن يكشف أو يتم الإمساك به ولو لمرة واحدة، مما جعله رئيس السجن بلا منازع .

كانت الأيام تمر بطيئة متماثلة، إلى أن جاء يوم حدث فيه الكثير.

بينما كان خالد جالسا يكتب كعادته في أحد الأركان، إذ دخل مجموعة من عمال النظافة ورجال الأمن يحملون حقائب أفرغوها بجانب أحد الأسرة الفارغة، ثم أخذوا يبدلون المفارش بأخرى رقيقة فاخرة ثم أحضروا مخدة حريرية استبدلوها بالقاسية .

كانت وجوه الجميع تعلوها الدهشة، لكن أحدا منهم لم يجرؤ على السؤال أو إظهار دهشته، إلا خالدا، فقد اتجه نحو احد الرجال ليقول له ساخرا:

ـ هل تعب المأمور من حياته مع زوجته الشمطاء التي يسبها صباح مساء، كل ما أسرف في الشراب، وقرر أن ينزل ضيفا ثقيلا علينا .

كتم الرجل ابتسامته على هذا الشاب الأرعن الذي يكاد يصيب الجميع بالجنون ثم أجابه :

ـ أبدا لكن نزيلا مهما سيكون هنا غدا، وهذه أوامر القاضي .

بدت على وجه خالد أمارات الاستغراب، فأي سجين هذا الذي يفرش له الحرير في السجن، غير أنه لم يعقب فهو أكثر من يعلم أن الأموال والرشاوي قادرة على كسر حاجز المستحيل وفعل الأعاجيب في نفوس البشر .

عاد خالد إلى ركنه ليواصل الكتابة صارفا ذهنه عن ما حصل اليوم .

و في حوالي الساعة التاسعة من اليوم الموالي، كان خالد غارقا في تمريناته، وفجأة فتح باب السجن، ودخل رجال الأمن ومعهم النزيل الجديد الذي كان يبدو في السبعين من عمره و إن بدا جسده الضخم في صحة جيدة .

كان الأمر برمته مريبا، حيث أن السجين تخلو يده من الأصفاد، كما أنه قد دخل محفوفا باحترام رجال الحكومة، حتى مدير السجن، كان يحادثه كأنه صديق الطفولة بالإضافة إلى بعض السجناء الذين كانوا يهللون باسم الحاج الكبير كما أطلقوا عليه .

كان كل هذا يحدث دون أن يعي منه خالد شيئا، فقد كان تركيزه منصبا على تمارينه الصباحية غير عابئ بما يحدثه الجميع من ضوضاء .

وقف الحاج الكبير حرب في مدخل الزنزانة بعد أن ودع الموكب الغير منطقي الذي اصطحبه .

وما إن أغلق الباب، حتى تكالب عليه بعض المساجين يعانقونه ويرحبون به، لكنه كان يدير عينيه كمن يبحث عن شخص ما، إلى أن رآه في أحد الأركان يمارس واحدا من تمارين الضغط وقد انتفخت عضلاته بشكل مخيف وأخذ صدره يعلو ويهبط بعنف جراء حركاته السريعة، فاتجه نحوه وقد علت وجهه ابتسامة غريبة .

اتكأ خالد على الجدار يريح عضلاته من المجهود الذي بذله في التمارين، أغمض عينيه وأخذ يتنفس بعمق، وفجأة أحس بظل ضخم يحجب عنه الضوء، ففتح عينيه فوجده ذلك العجوز فلم يأبه له وواصل إغماض عينيه.

جلس الرجل ملاصقا له ثم همس له بخبث:

ـ شغلك في السجن أراحني وأراح كل الأعضاء، لم يتم تعطيل أي من أعمال المافيا في هذا السجن بالذات بفضل ذكائك ونفوذك داخل الأسوار.

شعر خالد بالخطر يتسرب من كلمات الرجل وظن أنه أحد المخبرين فأجابه هازئا :

ـ أظن أنني حسدتك، لا أزال أفكر كم أنت بصحة جيدة رغم سنواتك التي يظهر أنها جاوزت السبعين بلا شك و إذا بك تصاب بالخرف فجأة.

ـ تجيد التهكم أيضا، أشكرك، هذا من حسن حظي، يبدو انك ستحول إجازتي في السجن إلى متعة حقيقية .

و ما إن أنهى الحاج كلامه، حتى اقترب منهما أحد الرجال رافعا صوته بالنداء :

ـ يا حاج حرب، يا حاج حرب، تعال اجلس معنا قليلا نريد أن نستفسر على أحوالك وأحوال الحاج طه .

انتفض خالد من مكانه ما إن سمع الأسماء التي نطق بها الرجل، ثم التفت إلى حرب يحتضنه بحرارة ثم جرى بينهما الحوار المعتاد في هذه المواقف، إلى أن سأل خالد حربا عن سبب دخوله السجن وعن المدة المحكوم عليه قضاءها، فأجابه الأخير:

ـ هل تصدق أنني دخلت إلى السجن للاستجمام، أنت تعرف أنني رئيس المافيا في مصر، وبما أن المافيا العليا لا تمنح الإجازات فقد أردت أن أمنح نفسي إجازة قصريّة، وبفضل بعض الرشاوي، استطعت الدخول إلى هنا كسجين في حادثة تزييف لمدة شهرين بأوراق مزورة، ولأصدقك القول أردت

أن أخطط معك لأمور كثيرة لتكون مستعدا قبل أن تخرج من السجن بعد ثلاثة أشهر من الآن.

ـ تقصد عشر سنوات وثلاثة أشهر .

ـ بل ثلاثة أشهر بالضبط، أنسيت أن ابني طه وعدك بمحاولة تقليص مدة سجنك إلى النصف، وقد نجح في ذلك .

انكب خالد على الحاج حرب يقبله وقد دمعت عيناه والأخير يبتسم في حنان ويربت على كتفيه .

وبعد أن هدأ خالد، تحولت ملامحه إلى الجدية وأخذ يستفسر من حرب عن ما أراد مناقشته معه.

الفصل الخامس

ـ إذا تريد مني أن اخفي صلتي بكم عند خروجي من السجن لأن قانون المافيا ينص على قتل المنشقين عنها، وبما أنني كنت عضوا سريا لمدة سبع سنوات، إذا كشفت فسيتم إجباري على العمل حتى بعد خروجي من السجن و إلا فسأقتل باعتباري عضوا قد خالف القانون .

ـ أجل لقد فهمت الأمر تماما، ولكن هناك شيء أخر سأطلبه منك، الأمر صعب ولكن عشمي فيك ألا ترفض .

ـ كن مطمئنا سأفعل ما باستطاعتي .

ـ تزوج حفيدتي .

امتلأت نفس خالد بالدهشة والاستغراب، لكنه حافظ على جدية لكنته وملامحه، وأجاب بكلمة واحدة:

ـ الأسباب.

ـ اسمع مؤخرا بدأت في عملية غسيل أموال واسعة النطاق حيث وجهت اهتمامي إلى العمل في الشركات والمصانع التي أملكها والتي كانت في الأصل مجرد ستار لأعمال التهريب والقتل، وفي أثناء ذلك قلصت من

نشاطي في المافيا أو بالأحرى توقفت عنه تماما، إلى أن وصلتني رسالة منهم، لم أحسب لها حسابا،

"انس ما تفكر به وتذكر القانون الثالث ."

ـ الثالث هو الذي ينص على إعدام المنشقين؟

ـ أجل هو بعينه .

ـ أعتقد أن الحاج طه أخبرني بأنكم رؤساء المافيا في مصر، ولذا أعتقد أن بإمكانكم حماية أنفسكم، فمن المؤكد أنكم تملكون الكثير من المال والرجال.

ـ نسيت أن أخبرك أمرين مهمين: الأمر الأول هو أنني وجدت الرسالة مكتوبة بالدماء على الحائط المقابل لسريري عندما استيقظت في الصباح وتحته وجد أحد الحراس مقتولا، وهذا يفسر عدم جدوى رجالي أمام رجال الزعيم الأول للمنظمة.

ـ حسنا وما هو الأمر الثاني ؟

ـ القانون الأول للمافيا:كل الرجال الذين يعملون تحت إمرة رؤساء فروع المنظمة في مختلف الدول يكون ولاؤهم الأول للزعيم الكبير، أي أنه من الممكن جدا أن يتم قتلي بواسطة رجالي إذا ما حاولت عصيان الأوامر.

ـ حسنا، وما علاقة ذلك بزواجي بحفيدتك .

ـ بعد وصول رسالة التهديد، اجتمعت مع الأعضاء الكبار للمافيا المصرية الذين هم أنا وابني طه وياسين، وأبناؤهما منذر ودياب، وقررنا محاولة الانشقاق بالفعل وقبل أن نفعل ذلك وجدنا أنه يجب علينا أن نعهد بنساء العائلة إلى شخص ما، وهذا الشخص هو أنت، ولكي لا يستريبوا في أمرك عليك أن تكون فردا من العائلة، والحل الوحيد لذلك هو زواجك بحفيدتي، ابنة طه.

ـ ولكن حتى لو فعلت ذلك لن أقدر على حمايتهم من المافيا.

ـ الهدف من وجودك ليس الحماية، بل أن تكون رجل العائلة في غياب الجميع، خاصة وأن الأحفاد الآخرين لا يزالون صغارا على تحمل المسؤولية، أما المافيا فلا تمثل مصدرا للخطر، فالقانون الثاني يمنع قتل الأبرياء إلا في الضرورة القصوى، ويمنع اختطاف النساء أو الأطفال، فرجل المافيا يبقى إنسانا مهما حصل، وهذا القانون ضروري لجعل الجميع مطمئنين بشأن أسرهم في حالة وجود نزاعات داخلية .

أوشك خالد أن يقبل طلبه ولكن صورتها وكلماتها الأخيرة مرت في خاطره، فحرك رأسه نافضا عنه الأفكار فيما رد بلهجة قاطعة شابتها آلامه :

ـ آسف، ولكن توجد أخرى بالفعل، هي تنتظرني في مكان ما ولن أخيب أملها، آسف حقا.

ـ لا عليك، لم أكن أعلم أن في قلبك أخرى، ولو علمت، لما طاوعتني نفسي، وطلبت هذا الطلب.

أبدى خالد أسفه الشديد لرفضه طلب حرب، لكن الأخير لم يبد متأثرا بهذا الرفض، لكنه أبدى استغرابه من عدم علمه بأمر الحبيبة المجهولة لا من ابنه ولا من جواسيسه الذين أرسلهم لينبشوا كل شبر من ماضي خالد قبل أن يجازف بإدخال نفسه السجن للقائه.

ولكنه علم لاحقا أن أمر إخفائها كان متعمدا كي لا تمثل له اليد الموجعة التي قد يتمكن أعداؤه من إمساكها مستقبلا.

الفصل السادس

مر شهران غادر فيهما حرب، ولم يتبق على نهاية السنوات العشر سوى شهر واحد، وها قد أوشك الطير الحبيس على التحليق .

خرج خالد إلى الطريق لأول مرة منذ عشر سنوات، فتح ذراعيه للفضاء يملأ رئتيه بهواء الحرية، ثم أخذ يقهقه بصوت عال، دفع جميع المارة للابتعاد عنه ظنا بأن مسا من الجنون أصابه، ولم يتوقف عن الضحك إلا عندما أحس بتربيتة دافئة على كتفه، كان ذلك حمزة الصديق الصدوق ذراعه الأيمن في السجن ورئيس أحد أقوى عصابات الوطن العربي، والذي انتهت مدة سجنه قبل عامين.

تبادل الصديقان عناقا حارا، كلمات ترحيب من حمزة وكلمات امتنان من خالد .

مضى وقت طويل قبل أن يصطحب حمزة خالدا بسيارته إلى منزله ليجهز نفسه استعدادا لرؤية عائلته بعد غياب قد طال.

لم يصغ خالد لثرثرة حمزة عن الأيام الخوالي، وانشغل عقله يفكر في وقع المفاجأة على عائلته الذين لا يعلمون أن العفو قد حل عليه أخيرا وأن مدة سجنه تقلصت إلى النصف.

لم يلبث تفكيره أن انتقل إليها لا إراديا، حوريته الفاتنة التي لطالما سرى عشقها في خلاياه، بجمالها الخلاب، وجه شديد البياض كالبدر ليلة تمامه، رموش فاتنة ووجنتان تغريان بالأكل، أنف كالسيف، شفتان رقيقتان بلون الكرز،أما عيناها وآه من عينيها، زمردتان، إذا أشرقت الشمس اخضرتا فوجدت الظل بين غابات الزيتون فيهما، و إذا أظلم الليل حالكا اصطبغتا بلون العسل، فيا رباه ما أشد جمالها.

أروى، تلك التي لم ينبض قلبه لغيرها، تلك التي استطاعت بضعة كلمات منها أن تجعل طيفها وذكرها حاضرا غير غائب، حتى بين غياهب السجون، لتمنحه الصبر والسلوى. لم يفق إلا على صوت فرامل السيارة تتوقف، وحمزة يرحب به ويدعوه لدخول المنزل، كان عقرب الساعة قد جاوز العاشرة منذ قليل، وهذا ما يعني أن زفاف أخته الذي أخبره حمزة أنه يوافق يوم خروجه، ما

زال على بدايته حوالي أربع ساعات كانت كافية لأن يستعد له بحمام ساخن، ربما ينزع عنه درن السنوات العشر الماضية.

الفصل السابع

كان خالد لا يزال يرتدي برنس الحمام عندما رأى حمزة يمد يده نحوه بحقيبة كبيرة فنظر له باستفهام، فرد علي حمزة قائلا:

ـ هدية أرسلها الحاج حرب.

أومأ خالد برأسه بتفهم، صاحبته ابتسامة قصيرة لذكرى أحد الأشخاص الغالين عليه.

فتح الحقيبة فوجد بداخلها مجموعة متكاملة انتمت إلى أحد الماركات الفاخرة، من ملابس وزجاجات عطر وبعض الإكسسوارات، إضافة إلى أدوات حلاقة.

وبعد أن أفرغها لاحظ انتفاخا في البطانة، وبعد عدة محاولات استطاعت أصابعه الماهرة فكها، فسقطت منها رزم ضخمة من المال كانت على إحداها ورقة، نزعها فوجد فيها رسالة من الحاج كان محتواها كالآتي:

ـ مبارك خروجك من السجن، أنت تعرف سبب عزوفنا عن زيارتك، خوفا عليك واحتراما لاتفاقنا، أرجو أن لا تعتقد أن رفضك لطلبي قد يؤثر على

مكانتك لدي أو لدى الحاج طه الذي يبلغك سلامه ويخبرك أن عائلة الحاج حرب ستكون دائما في ظهرك بكل الوسائل الممكنة،

إذا كنت تقرا هذه الرسالة الآن فهذا يعني أن هديتنا المتواضعة قد وصلتك، فقد كنت متأكدا أنك ستزور حمزة أولا لتستعد للقائها ولقاء عائلتك لذلك فقد تركت لك بعض ما قد تحتاجه مصحوبا بمبلغ متواضع من المال وأريد أن أعلمك أيضا بأن طه نقل التوكيل الذي سلمته إياه لنشر كتبك إلى حمزة كي لا تكون لك بنا صلة ظاهرة للعيان تفاديا للخطر المحتمل، وفي الأخير، كل الحب والاحترام.

أنهى خالد قراءة الرسالة وقد لمعت عيناه وارتسمت ابتسامة حنونة لهذا الرجل الذي كان عملة نادرة رغم سوء الظروف التي قابله بها.

أطلق تنهيدة حارة ثم حمل الحقيبة واتجه نحو إحدى الغرف يبدل ملابسه.

بعد وقت كان خالد قد أنهى اللمسات الأخيرة واتجه نحو الغرفة الرئيسية حيث ينتظره حمزة الذي أطلق صفيرا طويلا معجبا حال ما رآه.

ابتسم خالد للمجاملة ثم جاوره على المقعد وألقى رأسه على مسند الأريكة ليقضي وقتا ليس بالقليل مغمض العينين وحمزة يناظره بهدوء احتراما لمحاولته إخفاء توتره.

حانت ساعة الصفر ولم يبقى سوى نصف ساعة على بداية الحفل، انتشله حمزة من صراعه النفسي ثم اصطحبه إلى حيث انتقلت عائلته بعد دخوله السجن.

الفصل الثامن

نزل خالد من السيارة في أول الحي مفضلا أن يكمل الباقي من الطريق راجلا.
وقف أمام منزل وجده يطابق وصف حمزة أمضى لحظات قليلة يراقب الوافدين المبتسمين، الذين جاءوا اليوم ليشاركوا أخته الوحيدة فرحتها.
منحته ضحكة الصغار الذين انطلقوا هنا وهناك شجاعة لا بأس بها، جعلته يقدم على الدخول دون وجل.
أبطا من خطواته حالما عبر البهو وأخذ يتمعن في الوجوه التي حدقت فيه بدورها، فهيئته التي كانت مزيجا مثيرا من الهيبة والفخامة، جلبت انتباه الجميع.
اقترب منه أحد الأشخاص وسأله بلهجة خشنة عن من يكون، فأجابه بابتسامة خفيفة:
ـ خالد خاطر.
ارتفعت شهقات استنكار من كل أقاربه الذين توزعوا في أرجاء القاعة، مما دفع دهشة خالد إلى أقصاها، فهذه طريقة عجيبة للترحيب بشخص من المفترض أن يكونوا مشتاقين للقائه.

لم يقطع وصلة تفكيره سوى بضعة أشخاص عرف فيهم سكان حيه القديم، وهم يهللون بعبارات مختلفة مما يقال لخريجي السجون تبدو مبتذله إلى حد كبير من ملامحهم التي توزعت بين الخوف والاشمئزاز والرهبة.

أعقب هذه الأصوات صوت امرأة تصيح قائلة:

ـ ألم تقل أن ابنك مات منذ عشر سنوات فإذا به يعود وقد أصبح رد سجون، عائلة كهذه لا يشرفنا أن نصاهرها.

كان من الواضح أن والدة زوج أخته امرأة متعجرفة وأن ابنها واحد من الحمقى الذين لا يمكنهم حتى المشاركة في اتخاذ قراراتهم المصيرية حيث سحبته من مكانه على بجوار أخته، ليهب واقفا مستعدا للانصراف.

من سنواته العديدة في السجن تعلم خالد أن أجزاء من الثانية قد تكون الفاصل بين الحياة والموت، وأنه إن أراد الفوز أن يكون الأسرع تفكيرا وأن يكون الأسرع ردا للفعل، لذلك فإنه بعد كلمات الشمطاء رسم عقله عشرات السيناريوهات، لكن ما حصل بعد ذلك لم يكن أبدا ضمنها.

لاحظ خالد اقتراب والده منه فتوقف عن التفكير وابتسم ظنا أنه قادم إليه ليضمه أو على الأقل ليقول كلمة يسكت بها اللغط الذي ساد في القاعة، لكن الأخير خيب آماله فالكلمة التي نطق بها لم تكن أبدا ترحيبا، لم تكن

أبدا تعنيفا أو تعزيرا للذين أخطئوا في حق ابنه أمامه، بل صاح برجال الأمن بعد أن توقف على بعد خطوات منه:

ـ كيف سمحتم بدخوله إلى هنا ؟أخرجوه حالا. ثم التفت إلى خالد بنظرات شنيعة وكلمات ألقاها من فمه:

ـ أنا لا أملك إلا فتاة واحدة أما ابني فقد مات في حادث منذ عشر سنوات ولا أظن الموتى قد يعودون إلى الحياة، يمكنك الخروج الآن، إذا لم تمانع إيقاف مسرحيتك الرخيصة .

حالما أنهى خاطر كلامه اندفع رجلا الأمن نحو خالد للذي أوقفهما بإشارة من يده ثم أدار ظهره للجميع واتجه خارجا بملامح مبهمة.

ببرود ورباطة جأش يحسد عليها، كان خالد يجتاز الباب وقد ألجمته الصدمة، لكن يبدو أن الحياة كانت عازمة على أن تصنع منه لوحة حية من اليأس والبؤس،فأعدت له صفعة بغلاف زاه، صفعة ستكون الشكة التي تلهب باقي الجروح.

بوجه محتقن وعروق نافرة، كان خالد يشق الأزقة وهو يحث الخطى مبتعدا، إلى أن بدا الزمن وكأنه توقف بفعل تعويذة سحرية ما، كما يحدث في

القصص الخيالية، لكن مهلا يبدو أن هناك سحرا بالفعل، لم تكن تعويذة بل كان وجها طفوليا بخدين منتفخين وعيون زيتونية.

في لحظة انتشاء، تلاشت الدنيا من حوله نسي عائلته، نسي ما تعرض له، نسي أنه لم ير أمه غاب الوجود ولم يكن فيه سواها، تقدم منها بخطوات ترجف، لكن مهلا لما امتقع وجهها وأشاحت بناظرها عنه.

أراد أن يكذب بصره لكن ما رآه كان أوضح من أن يتجاهله فها هي يد صغيرة ترتفع لتلامس وجهها يصاحبها صوت لطفل ربما لم يبلغ الفطام بعد وهو يقول بصعوبة:

ـ ما. . ماما.

رباه كيف لم أر هذا الطفل الذي تحمله، أكنت مغيبا لتلك الدرجة.

أكمل خالد سيره الحثيث متجاوزا إياها، لكن قبل ابتعاده رآها تهدهد طفلها وتقول له:

ـ اسفة يا خالد، فلنسرع.

الفصل التاسع

هنا سمح الجبل لبركانه أن يفيض،جثا على ركبتيه وأطلق صرخة اجتثها من أعماقه ودموع ساخنة انهمرت من عينيه.

دقائق مرت وهو على تلك الحال إلى أن اقتربت منه فتاة صغيرة مسحت وجنتيه المخضبتين بكفيها اللطيفين وسألته بصوت دافئ إن كان بخير ,حدق فيها قليلا بشرود ثم وقف بقامته العملاقة ليربت على شعرها ثم يواصل سيره نحو اللا مكان بشكل فوضوي.

كان حمزة نائما على الأريكة وقد تهدلت رجله اليمنى حتى لامست الأرضية الباردة، بدا مستمتعا بنومه لأقصى حد وغطيطه المرتفع يملأ الغرفة ليجاري صوت التلفاز، لكن يبدو أن عينا حاسدة أصابته فها هو يتقلب في نومته منزعجا فرنين الهاتف قد انضم إلى المزيج الصوتي الغريب.

بنظرة كسولة لمح الهاتف ملقا أسفل الأريكة، وبيد أشد كسلا سحبه ببطء سرعان ما تحول إلى قلق عندما لمح الرقم الجديد الذي أعطاه لخالد أمسا يضيء الشاشة،مع أنه من المفترض أن يكون الآن نائما بين أحضان عائلته فالساعة تجاوزت الثالثة صباحا.

كان صوت خالد يسمع مبحوحا ثقيلا عبر الأسلاك مما جعل حمزة يعتدل في جسده وهو يسمعه يطلب منه أن يأتي لاصطحابه ويخبره بأنه يجلس على كرسي على حافة الكورنيش، ولكنه لا يعلم أين هو تحديدا، ورغم عدم ارتدائه سوى شورت قصير وشبشب منزلي، أسرع حمزة يركب سيارته، وبواسطة تطبيق تحديد المواقع، استطاع تحديد مكان صديقه، وانطلق نحوه بأقصى سرعة تسمح بها شوارع القاهرة التي لا تفرق بين الليل والنهار في ازدحامها .
كان خالد جالسا واضعا رأسه بين يديه وقد انكمشت حواف بدلته وتهدلت ربطة عنقه إلى أن أحس بظل يحجب عنه ضوء القمر ثم يجاوره في مجلسه، التفت إلى حمزة بعينين دمويتين ثم ألقى نفسه بين أحضانه ليشرع في بكاء مرير والأخير لا يفعل شيئا سوى التربيت على رأسه، وقد خمن ما حصل اليوم، فاستبعاد العائلات لأبنائها من خريجي السجون أمر شائع في مجتمع امتلأ بصغار العقول، و إن لم يخمن الجزء الخاص بأروى.
دقائق مرت و إذا بخالد يقف في صمت ويتجه نحو السيارة يتبعه حمزة وما إن بدأت رحلة العودة حتى كسر الأخير حاجز الصمت ليقول:

ـ أعرف أن ما تود أن ترويه ليس سهلا لكن لا يجب أن تنكسر هكذا لابد انك كنت مستعدا لهذه الصدمة فهذا الأمر ليس جديدا هنا كما تعلم وأيضا لا تنس فأنت ما زلت تملك أروى.

ـ لا بأس، فهي تملك خالدا صغيرا الآن ربما عمره عامان أو أكثر قليلا .

بهت حمزة من الإجابة فهو يعلم أن صديقه قاوم اليأس لعشر سنوات وكان مستعدا أن يقاوم أكثر فقط من أجل بضعة كلمات أسمعته إياها يوم المحكمة، لكن يبدو أن القلم لم يكتب لرفيقه سوى الشقاء.

لم ينطق حمزة باقي الطريق احتراما لصمت خالد الذي كفكف دموعه و إن لم يزل في حالة من التبلد المؤلم كردة فعل نفسية على كم الصدمات الهائل الذي تعرض له اليوم.

دلف الاثنان إلى المنزل وكانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحا عندما التفت خالد إلى حمزة ليصدر أوامره:

ـ ثلاث ساعات من النوم وساعة تستحم وتتناول فيها الإفطار وعلى الساعة الثامنة لا تزيد ولا تنقص أريد أن أراك بلباس مرن أمام المنزل، فلدينا عمل، وفي المرة القادمة حاول أن تستر نفسك قليلا قبل أن تخرج فلن يكون الأمر لطيفا لو رآك أحدهم تحتضنني وأنت بشورت فقط .

ودون أن ينتظر ردا، دلف إلى إحدى الغرف وأغلق الباب خلفه تاركا حمزة يبتسم من أجل صديقه، فيبدو أن خالدا أصلب مما يبدو، فكما يظهر، يبدو أن شخصية الملك الذي حكم السجن سبع سنوات قد عادت، وبينما كان يبتسم ببلاهة متسائلا عن ماهية العمل الذي سيقوم به شخص بعد خروجه من السجن بيوم واحد فوجئ بوسادة ترتطم بوجهه، وخالد يصيح آمرا إياه بالخلود إلى النوم حالا.

الفصل العاشر

على الساعة الثامنة، كان حمزة يجري في أرجاء حديقة المنزل كنوع من الرياضة الصباحية، وهو ينتظر استيقاظ خالد أو هذا ما كان يظنه قبل أن يفاجأ به يعبر الطريق قادما نحو البوابة الكبيرة، وهو يحمل حقيبة معدات ويرتدي ملابس متسخة، فهرع نحوه مسرعا وداخله يدور ألف سؤال وقبل أن يلقي حمزة بأسئلته التي لا تنتهي استوقفه خالد وهو يقول:

ـ لدينا عمل كثير، لا وقت لفضولك سأخبرك بكل شيء حالما نركب السيارة، والآن أعتقد أنك تمتلك بعض الخرائط للحي الذي تسكنه عائلة الحاج حرب، والشبكات المصرفية التابعة له.

اكتست ملامح حمزة بالجدية وهو يقول:

ـ طبعا، استحم ثم اتبعني.

بعد نصف ساعة وداخل الحمام كان حمزة يضغط أحد الأزرار على لوح التحكم في آلية الدش الجديد، و إذا بمصعد ينبثق من الأسفل، نزل الاثنان من المصعد، وهناك كان خالد قد دخل في حالة من الذهول، فهو كان يعلم من حمزة عندما كان في السجن أن له غرفة سرية في منزله، لكن هذا أبعد

ما يكون عن غرفة، فهو معسكر بكل المقاييس، بوجود هذه الأبواب المصفحة والحوائط المصممة من الخرسانة المسلحة.

أفاق خالد على يد حمزة تلمسه وهو يقول:

ـ استكشف المكان ريثما آتي بالخريطة.

أخذ خالد يفتح الأبواب الثلاثة المغلقة متجاهلا الباب الذي دخله حمزة والذي ظهر عبر فتحته كمكتبة عملاقة.

كان الباب الأول يفضي إلى غرفة طولية امتلأت بخزانات الملابس الخاصة بالعمليات إضافة إلى أخرى احتوت أقنعة حديثة سواء التنكرية أو المضادة للغازات السامة والمنومة بل يوجد حتى ملابس للغوص.

مر خالد إلى الباب الثاني الذي كان تحفة حربية بكل المقاييس الأسلحة البيضاء وخزانات الرصاص، المسدسات الصغيرة بل حتى الرشاشات الثقيلة، إضافة إلى مجموعة أسطورية من القنابل، أما الباب الأخير فكان عبارة عن منزل صغير لغرف مشتركة يحلو فيها العيش مصممة على طراز فاخر، غرفة بها حمام صغير ومخزن للطعام، مجموعة كاملة لغرفة ألعاب حديثة وبلورة توسطت الغرفة، احتوت على مجموعة من علب السجائر الفاخرة، والمشروبات.

قطع حبل انبهار خالد صوت حمزة وهو يناديه فاتجه إليه في الغرفة الثانية والتي كانت مكتبة ضخمة امتلأت بالخرائط والوثائق الخاصة بأعمال عصابة حمزة، توسطتها طاولة فاخرة احتوت اثني عشر كرسيا، جلس حمزة على إحداها منتظرا خالدا.

أخذ خالد يحدق بالخريطة في صمت وهو يرسم بضعة خطوط ويحدد بعض العلامات في عدة أماكن، وأخيرا ابتسم في رضا وغادر الحجرة رفقة حمزة، وقبل أن يستدعي الأخير المصعد أمره بالانتظار قليلا ثم دخل الحجرة الثانية واختار قناعا يتلاءم مع شكل وجهه وأمر حمزة باختيار قناع أيضا ثم استعمل الاثنين غرفة التبديل الملحقة للاتشاح بالسواد وقبل الاتجاه إلى حجرة السلاح لاحظ حمزة خالدا يضع عبوة صغيرة من الفسفور في جيبه لكنه لم يعقب لعلمه بأن كل الأشياء التي تحيره سيتم الحديث عنها باستفاضة داخل السيارة الثواني التي استغرقها حمزة في التفكير كانت كافية لأن يختار خالد خنجرا رفيعا ومسدسين قصيرين مع خزانات إضافية ثم يطلب منه تركيب كاتم الصوت، ابتسم حمزة ساخرا وهو يقول:

ـ قد يكون الكيني علمك استعمال الخناجر وقصبات الإبر بمهارة عالية لكن لا اعتقد أن السجن كان بالرفاهية التي تجعلهم يدربونك على استعمال الأسلحة النارية.

في برود أجابه خالد:

ـ أعرف الضغط على الزناد وهذا يكفي، أما المهارة فلا أعتقد أن العدو أو الرصاصة يعلمان أنها تنقصني.

ضحك حمزة على رد صديقه ثم اتجها خارجين نحو المرآب.

أثناء الطريق كان حمزة يتحرك شوقا لإشباع فضوله الذي بدأت وصلته منذ سلسلة أوامر البارحة.

وأخيرا كسر خالد الصمت وهو يقول:

ـ فلتتجه إلى أقرب موقف للسيارات من هذه النقطة التي توجد فيها فتحة المصرف التي سنستعملها في اختراق منزل عائلة حرب لمحاولة الاجتماع بهم.

ـ ما الذي تقصده ألم يكن الاتفاق على فك الروابط بينكم خوفا على حياتك وأيضا إن أردت كسر الاتفاق فترحيبهم بك أمر مؤكد، أي لا حاجه لكل ما تفعله.

ـ هل أنت زعيم عصابة حقا؟ أمر واضح أني انوي الدخول سرا لأني لا أريد أن يعلم أحد بذلك ودخولنا من الباب يعني أن حيا كاملا سيعلم بقدومنا وهذا أمر لن يكون في صالح خطتي مستقبلا.

ـ حسنا وما هي الخطة.

ـ هذا أمر ستعلمه عند اجتماعنا بأعضاء عائلة حرب.

ـ سؤال أخير، إذا كنت تنوي الدخول سرا دون أن يراك أحد فما حاجتك إلى الأقنعة؟

ـ رئيس أحمق فعلا، ولكن سأجيبك حتى لا يحترق دماغك الصغير من التفكير في أمر يفوقه حجما، الجواب هو أننا سنخرج كما لم ندخل.

أطبق حمزة فمه مكرها مع أن إجابة خالد لم تمح فضوله بل ضاعفته لكنه اكتفى من تهكمات الأخير الذي استمر في الابتسام ليغيظه.

توقفت السيارة في النقطة المنشودة وعند وصولهما إلى الفتحة، ابتسم حمزة ثم التفت إلى خالد بتهكم:

ـ يا كتله الذكاء ألا تعلم أنه وبالرغم من أن المكان خال ومتوار إلا أن صوت فتح غطاء الصرف الصحي سيحدث ضجيجا، سيجذب المارة الفضوليين ودوريات الشرطة، إضافة إلى أننا لا نملك المعدات اللازمة.

ـ حسنا يا كتله الغباء، ألا يذكرك أمر فتح الأغطية بالملابس المتسخة والحقيبة الكبيرة هذا الصباح.

شحب وجه حمزة و إن ابتسم في بلاهة، فقد انقلب السحر على الساحر.

وباستعمال سلم من الحبال جلباه من صندوق السيارة نزل الاثنان وأخذا يسيران على الحواف المرتفعة عن مستوى الماء، مستعينين بضوء كشاف صغير، إلى أن ارتطم حمزة بخالد الذي توقف فجأة، وقبل أن يسأله عن السبب التفت له خالد وهو يقول:

ـ حسب ما رأيته على الخريطة، لنصل إلى البقعة المنشودة في المنزل علينا أن نمر بهذه المنطقة والتي تعتبر بمثابة مكان لا يمر فيه الماء، وهو ما يجعله مأوى مغريا لحيوانات المجاري.

ـ سيكون هذا خطرا، قد تكون بعض هذه الحيوانات سامة.

ـ أجل، ولهذا سنتخلى عن ضوء المصباح حتى لا نفزعها.

ـ إذا كيف سنميز الطريق؟

ـ لا، تقلق لقد حفظته من الخريطة، وأيضا لنتفادى أي نسبة للفشل، سنطلي أحذيتنا بالفسفور الأخضر فرائحته ولونه المميزان سيبعدان الحيوانات،

ولمعانه سيحول دون توهاننا عن بعضنا، إضافة إلى أنه سيمدنا ولو بمصدر خافت من الضوء.

ابتسم حمزة في استحسان وهو يأخذ علبة الفسفور الصغيرة ويلون بها حذائه.

كان خالد يمشي وهو يعد خطواته وعندما وصل إلى الرقم ثلاثة وعشرين توقف والتفت إلى حمزة وقال:

ـ حسب ما أخبرني الحاج طه فهذا المكان بشكل ما، هو نقطة الاتصال بين الشبكة المصرفية وشبكة التهوية الخاصة بقاعة الاجتماعات الكبرى حيث يكونان طريقا سريا للهرب في الحالات الحرجة.

ـ اعرف أنني أحمق ولكن خبرتي كرجل عصابات تفيد بأن الممرات السرية ذات حراسة بشرية وإلكترونيه مشددة، وهذا ليس في صالحنا في هذه الحالة.

ـ كلامك منطقي، ولكن حسب ما أخبرني به الحاج، فهذا الممر لا يعلم بأمره سوى الأعضاء التابعين لعائلته، أي أننا في أمان.

ـ ولكن ما الذي يدفعه لإخفاء الأمر على رجاله الذين سيحتاجهم حتما ليغطوا ظهره في حال وجود خطر يهدده.

ـ ربما، ولكن كشخص أقصى أمانيه هي الانشقاق عن المافيا،فهو يحاول تقليل نسبة الفشل إذا تهور يوما وفعلها حتى أن واحدا من الطرق والذي لم أجده على خريطتك يقود إلى ميناء بحري صغير، حيث ترسو غواصة حديثة جاهزة للإبحار في أيه لحظة.

وفي حين كان حمزة يبتسم في انبهار، كانت أيدي خالد تتحسس الجدران بسلاسة باحثا عن بروز يصلح لأن يكون مفتاح الجمع بين الشبكتين.

الفصل الحادي عشر

كاد اليأس أن يصيبه عندما ارتطم مرفقه ببروز غريب، وبينما يتفحصه حاول تحريكه فإذا به يسقط على الأرض ويظهر مكانه زر غريب اخضر، ودون تفكير ضغط عليه لينزاح أحد الحجارة ويظهر خلفه دهليز طويل يتحرك صعودا إلى الأعلى.

باتباع هذا المسار وصل الاثنان إلى نهاية مسدودة حيث توجد فتحة سقف حجرة الاجتماعات، وهنا حان دور خبرة حمزة في اللصوصية حيث استطاع باستعمال مبرد صغير نشر القضبان الثلاثة في مدة لم تتجاوز الخمس دقائق، ليقفز الاثنان بعدها إلى منتصف الحجرة،

توجه خالد إلى احد الكراسي الوثيرة حول الطاولة العملاقة ثم جلس عليه، وأمر حمزة قائلا وهو يشير إلى لوحه الأزرار:

ـ بعد سبع دقائق بالضبط سنكون في تمام العاشرة، وعندها رن جرس الإنذار الأحمر ليحضر الجميع.

ـ اسمع اعلم أن تفكيري بسيط حقا، ولكن بضغط الجرس وفي أقل من دقيقة ستكون القاعة مليئة بالحراس، وهذا يعني أن مجهودنا الصباحي سيذهب هباء.

ـ لا علاقة للأمر هذه المرة بالذكاء، بل بالمعلومات، كما أنك لا تبدو غبيا إلا عندما تقارن ذكائك المتواضع بعبقريتي، أما بالنسبة للحرس فهذا الزر بالذات لا يرن إلا داخل الحجرات الخمس التابعة للجد حرب وابنيه طه وياسين وابنيهما منذر ودياب، أي أن لا شخص غير مرغوب فيه سيكون حاضرا.

ـ ربما تكون عبقريا وخارق الذكاء كما تقول، لكنك نرجسي خارق الغرور أيضا.

ـ أرى أن معجمك الفقير قد اكتسب بعض المفردات الجديدة .

هنا ارتفعت ضحكه رقيعة دلت على أن القادم كان حاضرا منذ بداية الحوار وفي جزء من الثانية كان الاثنان يرفعان السلاح نحو الوافد الجديد، الذي ما إن رآه حمزة حتى سحب الكرسي الذي يحاذيه ثم خاطبه:

ـ تعالي واجلسي يا جلنار ولا تنسي أن تقرعي الجرس في طريقك.

كان خالد قد عرف للتو أن جلنار هي أخت منذر وابنة طه عندما أدى الإنذار مفعوله، وبدأ الجميع بالدخول يتقدمهم الحاج طه، الذي أسرع نحو خالد بمجرد أن رآه.

وبعد عناق حار وكلمات ترحيب أشد حرارة صاحبها الكثير من نظرات الاستفهام، بدأ الاجتماع يضم ثمانية أشخاص؛ خالد، حمزة، جلنار، حرب، طه، ياسين، منذر، ودياب. والآن قبل أن نستطرد في سرد الأحداث فلنعرج على وصف شامل للشخصيات:

خالد: عملاق متناسق الجسد يمثل الجمال العربي الأصيل بعينين تتبدل بين العسل والليل، لحية خفيفة، شعر رأس كثيف طويل نسبيا، مع أنف مثالي شامخ ووجنتين أقرب إلى الامتلاء، استطاع أن يستفيد من مدة سجنه في بناء شخصية شبه كاملة بدنيا وثقافيا.

حمزة: رئيس لإحدى العصابات المصرية القوية وهو ما يفسر معرفته بابنة حرب وامتلاكه الخرائط السرية للمافيا، وهو ثري من أصل تركي يمتهن شغل العصابات من أجل المتعة، وهو ذو جسد رياضي، أشقر ببشرة بيضاء وعيون ملونة.

جلنار: طبيبة نفسية ذات أربع عيون، تمتلك ملامح حادة، تلك التي وجدت لتكون حكرا على النجباء، يبدو عليها أنها لا تملك علاقة بشغل العائلة لكنها كثيرا ما تبهرهم بتحليلاتها وخططها الفريدة.

حرب: الأب الروحي للمافيا المصرية.

طه ابن حرب: والمكلف بإدارة الشركات والعمليات لذكائه .

ياسين، منذر ودياب: فرضت عليهم الحياة أن يكونوا أعضاء لمجتمع لا هم منه ولا هو منهم، تقتصر أهميتهم على الظهور صوريا في الاجتماعات وتذييل الوثائق بتوقيعاتهم.

عودة إلى السرد

خالد:

أعلم أن الجميع يتساءلون عن سبب خرقي للاتفاق، قاطعته جلنار وهي تقول:

ـ لقد انتهت عيناك من الإجابة.

ابتسم خالد بأسى للتعليق، ومن نظرات الجميع علم أنهم فهموا خيبته.

ودون خوض في التفاصيل تكلم قائلا:

ـ أنا هنا اليوم لتحقيق أمنية الشخص الوحيد الذي استحق احترامي.

فهم الجميع ما يقصده، ولكون الحديث قد اتخذ منحى آخر فقد أجابه حرب:

ـ شخص واحد لا يملك القدرة على إسقاط منظمة كهذه بكل تفاصيلها الشائكة.

ـ لن أكون شخصا واحدا فبموافقتكم على ما سأقول ستتحولون جميعا من رؤساء إلى بيادق خيوطها بيدي.

جلنار:

ـ ثقة مفرطة من أحمق، سمعت عنك من أبي، ربما تكون فلتة لكنك تبقى بشريا ضعيفا،يملك حدودا لا يمكنه تجاوزها .

كان خالد مستمتعا بمعجم الإجابة، فهو منذ مغادرة حرب للسجن وهو متعطش لمقابله أشخاص قادرين على مناطحته ثقافيا، فأجابها:

ـ العقل والأنا، هيئتان تسكنان نفس الجسد، يمكن للآخرين طرح آرائهم فيك باعتبارك القطب المرئي من هذا التكوين الثنائي، أما العقل فأحمق من يتحدث عنه، فلا احد يمكنه تخمين العلاقة بينكما، فما يميز العقل هو قدرته

على الوصول إلى اللابشرية، عكس الجسد ذي الحالة الثابتة وهذا ما حاولت أنا فعله خلال العشر سنوات المنصرمة من دراسة للنفس البشرية ومتغيراتها ومحاولة التحكم في صورة كينونة ماهيتي لدى العقل، وهذا ما أسفر عن وصوله إلى مرحله ما حيث لا يمكن لجسدي مجاراته.

ابتسمت جلنار في إعجاب وقبل أن تجيبه سمعت جدها حربا وهو يوجه لطه وخالد الحديث:

ـ لقد كبرت في السن ولم أعد قادرا على منافسة الجيل الجديد، ولذلك فأنا أضع القرار بيد ابني طه وواثق بقراراته قبل أن يتفوه بها حتى.

تنحنح الأخير في إكبار لكلام والده، ثم توجه إلى خالد بالكلام:

ـ لو كان الأمر يعنيني وحدي لسلمتك الدفة تديرها حيث تشاء ولكني اليوم مسؤول عن عائلة كاملة وبطاعتك قد أدخلها معمعة الخطأ فيها يعني الموت، ولهذا سأسألك سؤالا تكون طريقة إجابتك عنه هي الفيصل، هل أنت واثق من النجاح دون خسائر؟

كان حرب يحدق عميقا في عيني خالد وهو يسمعه يجيب وقد كز على أسنانه في قسوة:

ـ أراد العالم مني أن أذعن لإرادتهم وأحترق في هدوء، لكني أعدهم بأني سأحرقهم وأنجو.

الفصل الثاني عشر

قطع الصمت الطويل صوت طه وهو يعلن للجميع أن خالدا منذ هذه اللحظة يملك كل الصلاحيات اللازمة للتحكم في هذا الفرع من المافيا، ثم التفت إلى الأخير وهو يقول:

ـ هل تملك خططا معينة أم سترتجل حسب الظروف.

كن مطمئنا، يمكنني تخمين الظروف الحالية جيدا، وبقليل من التحليل واكتشاف بعض النقاط المشتركة يمكن الحصول على صورة مستقبلية مطابقة للحقيقة بشكل كبير ولكن هناك بعض المعلومات والإجراءات التي احتاج معرفتها للتأكد من الخطوات التالية.

أجابه حرب هذه المرة:

ـ حسنا الجميع حاضر، ويمكننا تزويدك بكل ما تحتاجه بدقة سيتولى طه الإجابة و إن أعدمها فالإجابة للآخرين.

ـ هو سؤال واحد أما البقية فهي مجموعه من الطلبات والأوامر إن جاز التعبير.

ـ تفضل الجميع منصت.

ـ هناك أمر يحيرني، أعتقد أن هناك العديد من الفروع الدولية الراغبة في الانفصال فما الذي يمنع الإتحاد معهم، وهكذا سيكون الزعيم الرئيس مجبرا على تجاهل القانون الثالث والبحث عن نواب جدد للمناطق المنفضة

ـ أنت تتحدث عن شخص يحكم منظمة تفوق قوتها أغلب الدول في العالم النامي، فمن المؤكد أن هذا الأمر لن يجوز عليه، فهناك قانون وضع احتياطا من الانقلاب ينص على منع اتحاد أكثر من جزأين من المنظمة.

ـ بدأ الزعيم يثير إعجابي، وما هي الدولة التي اخترت التعاقد معها.

ـ روسيا .

ابتسم خالد في استحسان وهو يتفرس في الحاضرين إلى أن كسر حاجز الصمت وهو يتوجه نحو حمزة بالكلام:

ـ أريد منك توفير منزلين يربط بينهما ممر سري، الأول يجب أن يكون في حي راق وهادئ، ومن المستحب أن يحتوي على قبو، أما المنزل الثاني فيجب أن يكون في أحد الأحياء القديمة.

ـ أتذكر أن هناك منزلا بهذه المواصفات.

ـ حسنا، اذا فمشكلة البحث محلولة ولا تنس أن تشتري منزل المهندسين باسمي عبر التوكيل أما المنزل الثاني فأرسل من يشتريه، فلا أريد أن أترك ثغرة ظاهرة في الخطة .

قال هذا ثم ألقى نحو حمزة بمخطط هندسي وهو يطلب منه انتداب مهندسين مشبوهين من ذوي السوابق لترميم القبو على شاكلة هذا التصميم، وقبل أن يكمل توجيه الأوامر للبقية، كان حمزة يرفع يده في اعتراض:

ـ ما هذا المخطط المبهرج؟ هل هو جزء من الخطة؟

ـ بل جزء من نهاية مبهرجة أحاول صنعها، فمن لم يمنح فرصه اختيار البداية سيكون أحمق إن أضاع فرصة التحكم بالنهاية.

زفر حمزة وهو ينزل يده قائلا:

ـ سادي حكيم.

تجاهله خالد هذه المرة ثم التفت إلى البقية:

ـ بعد شهر من الآن ستنطلق سفينة محملة بشحنة عملاقة من الرشاشات الآلية الحديثة تلبيه لطلب من المافيا الروسية أو هذا ما سنطلب منهم قوله.

ـ حسنا، ولكن ما السبب؟

ـ خلال هذا الشهر الذي يسبق انطلاق السفينة أريد أن تكون هذه الرحلة شغل المافيا حول العالم.

ـ لكن الحكمة تكمن في السرية.

ـ في هذه الفترة، العمليات الكبيرة التي سنقوم بها، هي مجرد عناوين للفصول وليست الفصول نفسها ولأتمكن من كتابة فصول ناجحة بهدوء، عليكم كتابة العناوين من أجلي .

هنا شارك ياسين لأول مرة في الحوار وهو يقول:

ـ هناك مشكلة لا تعرفها، رجال الأمن هذه الأيام نشطون بشكل غريب، وسيكون شبه مستحيل العبور بشحنة بالغة الضخامة من الأسلحة.

ـ لدي إلمام سطحي بالوضع، وعلى هذا ستذهب أنت وابنك دياب في أقرب وقت إلى روسيا، وبعد منحهم معلومات عن ما حصل داخل هذا الاجتماع ستطلبون منهم إنشاء مصنع جديد للسيارات، كنهضة علمية لتحسين المحركات، وعندها يتقدمون بطلب رسمي لمعرضكم بإرسال مجموعة من المحركات لإجراء التجارب، وداخل كل محرك سيتم تبديل بعض القطع الأصلية بقطع غيار رشاش، وهكذا نضرب عصفورين بحجر واحد، سنحصل

على ما نريد من شوشرة على المافيا في أوروبا ولا ندع للحكومة مجالا للشك.

تعالى صوت تصفيق حاد كان مصدره حمزه وجلنار إضافة إلى ابتسامه أبوية فخورة رسمها حرب وطه على وجهيهما.

ـ هناك ثغرة ما في كلامك، خطتك هذه للتشويش على المافيا الأوروبية كما قلت، وكأنك تتجاهل المافيا الإفريقية والتي من الممكن أن تكون الأمر الذي يدرج خطتك تحت القاعدة العامة، "لا يوجد نظام أمني خال من الثغرات."

كانت لهجة منذر ساخرة بعض الشيء وهو يلقي هذه الكلمات، لرفضه فكرة تسليم القيادة لخالد الذي لا يرى فيه إلا خريج سجون مجنون.

وهذا ما جعل الأخير يذيقه ردا لاذعا:

ـ أنت مجرد بيدق لا يملك الحق في انتقاد خطط لا يرقى إليها عقلك القاصر، ولكني سأجيبك باختصار لسببين؛ أولهما ألا تفكر في خيانتي لعدم ثقتك بالنجاح والثاني أن هذا سيكون تقديرا مني لمجهودك في... ثم قطع كلامه وهو يمده بقائمة احتوت ستة أسماء، وفي الأخير قال له:

ـ أريد من أصحاب هذه الأسماء أن يتم الإلقاء بهم في أحد مخازنكم في غضون شهر واحد، وأريد أن تكون ظروف اختفائهم الغامضة محل حديث وسائل التواصل ونشرات الأخبار لأني سأحتاج هذه الضجة فيما بعد.

ـ يبدو انك أدرجت الاسم السادس سهوا، كيف سنقبض على هذا الشخص؟

ـ لا تقلق سأرسله لك في طرد بريدي أثناء زيارتي القصيرة إلى أفريقيا

هنا خرج حرب عن صمته وهو يقول:

ـ وما الذي ستفعله هناك ؟ألا يجب عليك البقاء للإشراف على الخطة.

ـ سبب زيارتي لإفريقيا هو الإجابة عن الثغرة التي يظن منذر وجودها، وبالنسبة للخطط، أعتقد أن ترميم المنزل والقبو سينتهيان بعد خمسة وعشرين يوما، وأما دمج المحركات بالرشاشات الثقيلة سيستغرق حوالي سبعة وعشرين يوما، وأما عملية الاختطاف، فلا أعتقد أنني بحاجة إلى مراقبتها فهي سهلة، ولهذا فبعد عشرين يوما بالضبط سأكون هنا في هذه الغرفة أدرس التقارير وأشرف على النهايات فقط وأضع اللمسات الأخيرة إذا دعت الحاجة .

رنا صمت ثقيل على القاعة بعد كلمات خالد وانشغل كل بالتفكير في مهمته القادمة، والقلق ينهشهم لمجرد التفكير في المواجهة المقبلة عديمة التكافؤ "عقل مقابل آلاف الرصاصات".

ارتدى خالد وحمزة الأقنعة التي كانوا يحملونها، وقبل أن يتجاوزا الباب، توقف خالد على صوت جلنار التي كانت صامتة منذ منتصف الجلسة وهي تسأله:

ـ لم أنت واثق هكذا ؟ألا تملك نظره تقييمية للأمور؟

ابتسم الشيطان ولم يجب

الفصل الثالث عاشر

بعد ثلاثة أيام من الاجتماع، كان خالد على متن الطائرة المتجهة إلى جنوب السودان تلبية للدعوة التي أرسلت له من قبل أحد القنوات التي أغرمت بكتاباته التي نشرها طه أثناء مدة سجنه.

مكثت الطائرة في الهواء حوالي ساعتين ونصف، لتنزل بعدها في المطار.

وعلى الطريقة النمطية المعتادة، حالما نزل خالد من الطائرة أخذا يبحث بين اللافتات، التي رفعها أقرباء المسافرين وعوائلهم، عن اسمه إلى أن وجد إحداها، يحملها رجل يكاد يختفي خلفها، فاتجه نحوه مبتسما، وسريعا ما كان يتوسط المقعد الخلفي للسيارة التابعة للقناة وهي تتجه به نحو الفندق. لم يكن خالد من النوع الذي يضيع أي فرصه مهما كانت عفوية فالحياة لديه عبارة عن معادلة رياضية مقيتة حيث لا موقف يوضع سهوا أو اعتباطا، وليتمكن من التحكم بالمعادلة بشكل كامل، كانت نظريته هي أن لا يدع فرصة للمجهول بتغيير النتيجة، ولهذا فقد أخذ يلقي على السائق أسئلة تخص مقدمي البرنامج الذين سيتولون الحوار غدا، كان الحوار في ظاهره

عاديا وتقليديا كمعظم المحادثات التي تحصل بين السائقين الذين نصطدم بهم كل يوم أثناء استعمالنا للمواصلات.

وصل خالد إلى الفندق وبعد أن أنهى الإجراءات القانونية المعتادة تظاهر بالإعياء ليتملص من المرشد الذي كانت مهمته أخذه في جولة حول المدينة لاكتشاف معالمها كما تنص الأعراف.

دخل خالد إلى غرفته، وما إن أغلق الباب حتى اعتدل في وقفته بعد أن كان قد أجبر نفسه في الخارج على إحناء رأسه وكتفيه إكمالا لتمثيلية التعب، طقطق أصابعه ثم نزع ثيابه حتى بدا كيوم ولدته أمه، وبعد حمام ساخن كان يفرغ حقيبته وينقل محتوياتها إلى الخزانة متأففا فهو لم يكن يوما من عشاق النظام، لكن هذه المرة استثناء، فبصفته خريج سجون، ربما يكون محل حذر ومراقبة من السلطات، ولذلك يجب عليه أن يرتدي حلة الأديب الحكيم.

أكمل ما كان يفعله ثم نظر في رضا إلى المكان، وفي ثوان قليله كان يتسطح على فراشه.

كان عقرب الساعة يمر على الرقم تسعه مرور الكرام، عندما اعتدل خالد في مجلسه، يحرك فقرات عنقه في إرهاق وهو ينظر إلى الأوراق العديدة أمامه، والتي اشتركت كلها في العنوان" حوار الغد مع فلان."

لا أعرف ما جال بأذهانكم، لكن الأوراق كلها كانت تتضمن الحوار مع شخص مختلف من القناة، حيث استطاع خالد عبر استجوابه الماكر للسائق تحليل شخصياتهم من سؤاله عن تصرفاتهم، ردود أفعالهم، إضافة إلى نظراتهم التقييمية عن المواقف التي سمعها، لكن ما أخبره به السائق لم يكن ذا قيمة حقا، عندما تعلق الأمر بتحديد اسم المذيع المكلف بالمقابلة الخاصة به غدا، ولهذا فقد خمن حوارات الجميع احتياطا.

بهيئة جذابة جسدت الجمال العربي الخشن، كان خالد يدلف مبنى القناة، يقوده عادل، السائق من الأمس، وبعد لحظات كان يجلس على الأريكة الوثيرة بساقين متشابكتين وهو يركز نظره على الباب ينتظر القادم بنظرات صقرية من شانها تحذيره من ممارسة الألاعيب الصحفية المعتادة.

كان القادم لحسن الحظ أو سوءه، هي فاطمة، مذيعة مغرورة من أصول مغربية كما خبر بالأمس.

كان يعلم أن هذا النوع من الصحفيين مقرف، فهو بطبيعته القيادية لن يتقيد بالسؤال عن محتوى البرنامج بل سيتعداه إلى أسئلة شخصية، طمعا في سبق صحفي، وكلمة خاطئة واحدة ربما تلقي الضوء عليه وتفسد مخططاته للرحلة

التي يعتزمها إلى مجاهل غابات كينيا، ليواصل صناعة البيادق حتى يضمن نصرا ساحقا.

كما يقتضي الأمر بقي خالد ساكنا في مكانه يقرأ حركات جسد فاطمة استعدادا ليذيقها صفعة تشرخ غرورها ونزعتها القيادية، لتريحه من مشاكل هو في غنى عنها.

كانت عيناه تلاحظان رفعة رأسها وهي تدخل، الحركات التي تبدو عفوية تجميلية، بيد أنها لم تخلق إلا لجذب الإنتباه ؛ إزاحة الشعر خلف الأذن، رمش سريع يصاحب ابتسامة سرعان ما تظهر وسرعان ما تختفي، لم تغفل عينه الخبيرة عن معرفه معناها في هذا الموقف، فهي ببساطة دلالة على محاولة للمحافظة على صورة قوية جذابة مثيرة للإعجاب كفاكهة محرمة.

تحرك خالد إلى الخلف وهو يراها تجلس أمامه وتبدأ بتقديم نفسها بطريقة استعراضية، بينما تحرك يديها،

هنا ابتسم في نشوة وهو يحدد نقطة الضعف بدقة، فتحريك يديها أثناء تقديم نفسها دليل على أنها تمتلك ثقة مهزوزة غير مستقرة فداخلها يظن أن كلماتها غير كافيه للسيطرة على المستمع ولذلك يدرج حركة الأيدي كمؤثر خارجي يستجدي الاهتمام، وبناء على تحليلاته أجاب مقدمتها الطويلة عن

نفسها وهو يقول، يمكنك البدء بالتصوير فلست مهتما بالتعرف إليك، كان جليا أن ضربته نجحت إلى أقصى حد، حيث سرعان ما تهدل كتفها وغيرت من جلستها العنجهية، لكن على الأقل أثبتت حنكتها كصحفية سريعا، حيث أشارت ببدء تصوير بعد أن استدعت على وجهها ابتسامة صفراء، وهكذا بدأ الحوار.

الفصل الرابع عشر

استهلت كلامها قائلة:

ـ الأستاذ خالد خاطر، مرحبا بك اليوم على قناتنا النيل الأزرق في لقاء لطالما تشوق له جمهورك، حول الدول العربية، نتشرف اليوم بالحديث معك، وقبل أن نخوض في التفاصيل الأدبية، نرجو منك أن تقدم نفسك لمعجبيك.

ـ مشكورون على الدعوة ومشكور أنا على القبول، معكم خالد فقط، وليد النيل وخريج سجونه، كاتب لم تمنحني الحياة الرفعة فافتككتها ووجودي هنا الآن أبلغ دليل على ذلك.

ـ تقديم غريب، لكنه مميز، سؤال تردد في ذهني وأظن المشاهدين يشاركونني الفضول، لماذا تجاهلت ذكر اسم والدك في التقديم، كما أن إضافتك لكلمة" فقط" بدت وكأنها تطلب مني طرح السؤال؟

ـ عندما تقرن اسمك باسم والدك، فمضمون هذا التركيب يجعل المستمع ينسب جزءا من عظمتك، نجاحك أو فشلك أحيانا، إلى هذا الأب، وفي حالتي هذه، هو لا يستحق الذكر فهو صنع قزما، وأنا حولته عملاقا، ولهذا حكم على اسمه أن يغيب.

ـ يبدو أن هناك تاريخا حزينا بينكما، نأسف لكم أعزائي المشاهدين فالوقت لا يسمح بالتعريج على هذه القصة، ولهذا سنمر إلى السؤال القادم، هل تعتقد أن السجن كان عاملا إيجابيا أم سلبيا على مؤلفاتك؟

ـ إيجابي لدرجة رهيبة لا يمكن تخيلها، فمقولة" الألم محبرة الشعراء والأنين قوافيهم "،صالحة في كل زمان ومكان، ولا أظن أحدا سيسأل عن العلاقة بين الألم والسجن، فهما وجهان لعملة واحدة.

وهكذا توصل الحوار بين شد وجذب وخالد يتحكم في سيره بمهارة إلى أن وصلت الحلقة التي دامت حوالي ساعة ونصف إلى نهايتها، وكسؤال تقليدي توجهت فاطمة لخالد بالكلام:

ـ ما الذي جعلك تختار القناة السودانية لإظهار أول لقاءاتك رغم أن دعوات بمبالغ أفضل قد وصلتك، حتى من مصر ودول الخليج.

منع خالد الابتسامة الساخرة التي جالت بخاطره؛ عندما فكر بأنه اختار السودان لتكون حجة يخرج بها من مصر إلى إفريقيا دون إثارة الشبهات، وسرعان ما رسم ابتسامة دبلوماسية وهو يجيب:

ـ الجميع يعلم أن السودان بلد متنوع الثقافات وله تاريخ غني إضافة إلى أنه يصعد سريعا في سلم التطورات الاجتماعية والاقتصادية بشكل إيجابي

ولهذا فهو يبدو لي كبداية مبشرة لمشواري الأدبي، الظهور في إحدى قنواتها.

أغرت الإجابة المتزنة المذيعة بالقيام بمحاولة لاسترداد كرامتها معتمدة في ذلك على البث المباشر الذي سيجبر خالدا على تملقها فخاطبته بمداعبة قائلة:

ـ هل تعتقد أنني أصلح لأكون ملكة جمال السودان هذا العام

ـ أعتقد أن اختيار رجل حتى، سيكون أفضل قطعا.

كانت الإجابة مباغتة وغير متوقعة على الإطلاق، لدرجة جعلت فاطمة ترتبك، وفي تجربة يائسة حاولت إنقاذ ما تبقى من ماء وجهها، فابتسمت باهتزاز وهي تقول:

ـ يبدو أنك إنسان عملي أكثر من اللازم.

ـ بل ممتلئ أكثر من اللازم، ثم انحنى نحوها وهو يكمل، بقدر ما أنت جوفاء أكثر من اللازم.

على وجهها لوحة فنية مثلت آيات الإحراج والصدمة، تركها واتجه نحو باب الخروج، لوح بيده أمام الكاميرا ثم غادر.

بعد ساعتين، كان داخل غرفته في الفندق يستقبل مكالمة من حمزة، اخذ ينصت إليه في برود والأخير يصيح:

ـ هل أنت أحمق، ما الذي فعلته في ختام الحلقة، هل تريد أن تكون محط أنظار الناس، ستفسد العملية بسبب بعض جيناتك النرجسية.

ـ بل العكس تماما، بعد لقاء هذا اليوم سيتم تأجيل كل دعوة موجهة إلي، فلا قناة تريد أن يتعرض مقدمها للقصف المباشر كما حصل مع الحمقاء، ولهذا سيفضلون تركي لفترة حتى أتأقلم وأغير من الطباع القاسية الذي عشت بها في السجن.

ـ حقيقة خطتك لا تعنيني، تعلم أنني أكره التفكير كما أكره نرجسيتك بالضبط، ولكن الفتاة لا تستحق منك ذلك فوجهها الملائكي يجب أن يحمر خجلا من الغزل لا من القصف وقبل أن يسهب حمزة في وصفها، كان خالد ينهي المكالمة ويذهب في نوم عميق استعدادا لرحلة المساء نحو كينيا .

الفصل الخامس عشر

عند السادسة صباحا، كان خالد يدخل إحدى الحانات القذرة على حواف غابات "مينينجاي" الكينية.

في هذا الوقت الباكر، كانت الحانة خالية إلا من بعض الحمقى الثملين الذين قضوا ليلتهم في احتساء الجعة الرخيصة.

تجاهلهم وهو يتجه نحو النادل الصباحي الذي انشغل في تنظيف فوضى السكارى.

"الحوار مترجم إلى اللغة العربية"

ـ مرحبا، هل يمكنك منحي زجاجة مياه وخريطة للأدغال .

مع كلمته الأخيرة، كانت بعض الرؤوس ترتفع، وجثث ضخمة تتحرك نحو خالد، وأحدها يسأله بصوت أشج:

ـ ما الذي تبحث عنه في الأدغال.

كان من الواضح أنهم جواسيس "دايو أوكيني" أو "القرد الإفريقي" كما يطلق عليه حمزة.

يقال أن جزءا من الثانية قد يكون حدا فاصلا بين الموت والحياة، وهذا ما كان يعيه خالد جيدا، وهو يراقب الأربعة الذين أحاطوا به في تحفز, كان من الواضح أن كفتهم كانت سترجح لو لم يكن خصمهم خالدا الذي يجيد التحكم في الوقت وردات الفعل، فخلال ثواني كان يطرح أولهم أرضا بروسية فاخرة، وبقليل من المراوغة وبعض اللكمات التي تعرف طريقها جيدا، كان اثنان آخران يسقطان، ليتبقى شخص واحد فقط، لاعبه لدقائق معدودة ثم أرسله إلى عالم اللاواعي، حيث رفاقه، بركلة أسفل الفك.

كان قد تحقق من كونهم على قيد الحياة قبل أن يغادر حاملا خريطة وسيفا قصيرا يستعمل في إزاحة الأغصان ومسدسا من نوع "كولت" مع خزانتي رصاص، كان قد وجدهم موزعين بين ضحايا الحانة.

كان يدقق في الخريطة ويستحضر بعض المعلومات التي أخبره بها دايو عندما كان زميله في السجن،

كانت الخريطة تحتوي على مسلكين نحو المقر الرئيسي للعصابة؛ طريق سلس يعتمدون عليه في التنقل وطريق آخر يستحيل عبوره لامتلائه بحقول ألغام متبقية من حروب الحقبة السابقة إضافة إلى أنها مرتع لشتى الحيوانات المفترسة التي لا توجد إلا هنا في السافانا الإفريقية.

كان الخيار الأفضل هو الطريق الآمنة بلا شك، لكن طريق الجحيم، كما يطلقون عليه، له مزاياه أيضا ففي حالة نجح في عبوره سيسهل عليه أمر إقناع عصابة دايو بالعمل تحت إمرته وتنفيذ المهمة الانتحارية التي يعلق أمله عليهم فيها، خاصة وأن دايو نال أصواتهم، كونه الشخص الوحيد الذي تجاوز طريق الجحيم حيا، وهذا من شأنه أن يرفع نسبة نجاته، فجميع من في السجن يعلم أن دايو وخالد متعادلان جسديا، لكن خالدا متفوق بسنوات ضوئية من ناحية القوة العقلية.

ابتسم خالد عندما وصل إلى هذه النقطة، وهو يتذكر الموقف الذي أطلق حمزة بعده على دايو لقب "القرد الإفريقي"

فلاش باك:

في احد أركان الزنزانة الخامسة يجلس ثلاثة رجال من السجن، الزعيم خالد وذراعاه حمزة ودايو.

كان دايو يتكلم بصوت منخفض وهو يسأل خالدا:

ـ ألا يخشى الحاج أن ينقلب عليه حراس السجن الذين ينقلون إليك الأوامر.

ـ أبدا فهم لا يعلمون أنهم يقولون الأوامر حتى.

ـ كيف ذلك ؟

ـ مقابل بعض الرشاوي، يرسل الحاج كمية من الحشيش الفاخر مصحوبة بأوراق اللف التي هي في الحقيقة عبارة عن. .. قطع كلام خالد اقتراب الحارس وهو يتلفت يمنة ويسرة، وفي غفلة عن الموجودين ألقى إليه بمغلف أصفر اللون ثم اختفى سريعا. أنهى خالد فتح المغلف، ثم رمق دايو بنظرات بمعنى "راقب وتعلم" أزاح البودرة جانبا ثم أمر حمزة بإحضار قطعة من الليمون أو البرتقال من أحد صحون الغداء التي لم تجمع بعد.

اختار خالد الورقة الوسطى من أوراق اللف وأخذ يفرك ظاهرها بقطعة البرتقال حتى ظهرت عليها كتابة مميزة بلون فاقع جعل مرآها دايو يشهق بانبهار وهو ينعت خالدا بالساحر، قبل أن يفسر له حمزة ما يعرفه عن الأحبار السرية خاصة التي تظهر عند تفاعلها مع الحوامض.

ثم أخذ يسخر من جهله بها، ونعته بدل "الزعيم الإفريقي" ب "القرد الإفريقي".

وهكذا مر اليوم بين مناكشات متواصلة، لا يلبث أن يضحك منها الاثنان وكأنهما يتحدثان عن شخص آخر.

سرعان ما انتهى سيل الذكريات وعاد خالد إلى عالم الواقع مجبرا، وبدأ يعبر الأدغال نحو الوكر، ينشد الوصول قبل الغروب.

كان الطريق سلسا حتى قطعته مجموعة من الأشجار العتيقة وقد التحمت جذورها, فانعدمت إمكانية العبور بينها, كان الحل الوحيد هو محاولة القفز بين الأغصان ولكنه يعد انتحارا في هذه الحالة بسبب وجود الآلاف من الحشرات الغريبة التي قررت أن تستوطن هذا المكان العفن الذي لم يرى الشمس منذ ألف عام.

كان أوان العودة واختيار الطريق الآخر قد فات، ولهذا قرر خالد المخاطرة، وليتمكن من رفع نسبة نجاته، عاد إلى مستنقع كان قد تجاوزه منذ قليل، وأخذ يبحث فيه عن مكان غير عميق حتى عثر عليه، اقترب وأخذ يفحصه بحذر, ولكن شيئا ما, له ملامح جذع ضخم هاجمه من الخلف، وقبل أن يطبق على يده اليسرى، وجه له لكمة أصابت نقطة ضعفه الوحيدة بدقة، وبفك يرجف كانت التمساح يزحف بعيدا.

بعد دقائق، كان خالد ينتقل بين الأشجار بحرفية، تساعده عضلاته القوية، وقد غطى نفسه بالطين من رأسه إلى أخمص قدميه, لمعرفته بأن هذه حشرات لا تألفه، إضافة إلى أنه سيصعب وصولها إلى جلده وهكذا سيكون في أمان إذا ما كانت إحداها سامة.

بتجاوز المستنقع والمجموعات المتشابكة، بقيت عقبة واحدة وهي حقل الألغام، كانت البقعة التي يقع فيها، خالية تماما من الأشجار، ولهذا فلا مناص من تجاوزه سيرا على الأقدام حمل خالد بعض الأزهار البنفسجية وبواسطة هرسها بين حجرين صلبين، استطاع أن يستخرج منها عصارة ملونة خلطها ببعض المياه ثم تركها تتخثر وعاد أدراجه باحثاعن أمر ما.

بعد وقت ليس بالوجيز عاد يحمل بين ذراعيه ضبعا متوسط الحجم، جريح القدمين، وقد كمم فمه بقطعه من القماش، أنزله بجانب الصخرة ثم أخذ يغمس أرجل الضبع في الصباغ، وبعدها أطلقه في الحقل.

لم يمنح الله الحيوان عقلا يفكر به، لكنه منحه غريزة يحيى بها في ظل طغيان البشر، وهذا ما أثبته الضبع الذي كان يضع خطمه في الأرض وهو يعبر بعرجته الحقل مختارا الأماكن الآمنة، كل هذا وخالد يراقبه من بعيد، لم يشأ أن يتبعه مباشرة ليتفادى خروج الأخير عن الطريق الآمن لشعوره بالفزع، وبعد مدة كان يقطع الحقل بخطوات حذرة وهو يناظر الأرض بحثا عن الآثار البنفسجية، كما ساعدته عرجة الضبع بمقاربتها بين الخطوات، تفاديا لأي احتمال للخطأ بملاحظة الفرق بين أقدامه وأقدام الحيوان.

الفصل السادس عشر

استغرقت الرحلة وقتا أقل مما كان يتصور، فالشمس لا تزال في السماء، عندما كان يقف على الجرف الذي يقع خلف شبه القرية التي يسكنها دايو وجماعته.

عند نقطة التفتيش الأولى، كان يقف أمام حارسين تدلا فكاهما في ذهول، وهما يلاحظان الاتجاه الذي قدم منه، لم يقطع وصلة الذهول سوى صراخ شخص قادم من القرية وهو يسأله عن اسمه الذي ما إن سمعه حتى أخبره بأن الزعيم ينتظره ضيفا على العشاء.

كان خالد مستغربا من معرفة دايو بقدومه، ولكنه كتم هذه الدهشة وهو يقاد إلى حمام كان منعشا رغم بدائيته، وبعد ساعة كان خالد يدخل معطرا إلى أكبر كوخ في القرية. وبعد لقاء حار بين الصديقين، كانت الطاولة تضم ثلاثة أشخاص؛ خالد، دايو، موسى.

دايو:رفيق خالد في السجن استطاع تحويل قبيلته إلى جيش مستقل في إحدى غابات مجاهل كينيا، مما دفع رجال الأمن لرفع أمره للإنتربول، حتى تم القبض عليه في مصر و إيداعه السجن . موسى:شقيق دايو وزعيم المافيا الأمريكية

خالد:

ـ كيف عرفت أنني هنا .

دايو:

ـ عندما عاد الرجال من الحانة وأخبروني بأن أحدهم سأل عني، وبرؤية مواضع اللكمات، عرفت بأنك الفاعل، خاصة وأنهم سبقوك في القدوم، رغم أنك تجاوزتهم بثلاث ساعات تركتهم فيها فاقدي الوعي، كما أنني لم أنس عندما قلت لي "يوم آتي لأزورك فاترك أحدا يستقبلني في الجرف لأني سأختار حتما ممر الجحيم "

بعد العشاء الذي كان غزالا مشويا على الفحم، خرج الثلاثة إلى منتصف القرية، حيث تم إطلاق النفير، ليتجمع المحاربون، وهنا تركت الكلمة إلى خالد:

ـ من كان منكم متزوجا أو له أطفال أو يرى نفسه غير جدير، فليتنح جانبا، فالمهمة التي أحتاجكم فيها انتحارية ولهذا أفضل أولئك المنسيين الذين لن تثكلهم أم أو ييتم لهم ولد أو ترمل لهم زوجة، وكما جرت العادة، سيكون ثمن النجاح مكافأة باهظة ؛ألف دولار لكل فرد، أي ما يعادل, مائة وسبعة وخمسين ألفا وتسعمائة شلن كيني .

ضج الجميع بالهتاف لسماعهم هذا المبلغ الخرافي ووصل عدد المتطوعين إلى مائة رجل، وهنا ترك خالد أمر الانتقاء لدايو، فهو قطعا أعلم برجاله .

دام الاختيار طوال المساء، وعند منتصف الليل كان عشرون رجلا يتحلقون حول النار ينتظرون من خالد شرح تفاصيل المهمة .

خالد:

ـ خلال الشهر والنصف القادمة، هناك إحدى الشركات التي اشتريتها ستحاول إغراق شركات رؤساء المافيا الإفريقية بالديون والصفقات المزيفة، عبر الجواسيس والوسائل الإلكترونية الحديثة، ولذلك عندما تبلغ الديون

مبلغا لا يستهان به، سيكون هناك اجتماع أكيد للزعماء للبت في هذه المشكلة، وهنا يقع دوركم، لا أريد أن يخرج زعيم أو وريث من ذلك الاجتماع حيا، أما بالنسبة لرجالهم فلن يكونوا مشكلة، فما إن يبلغهم مصرع زعمائهم حتى يبدؤوا في نهب ممتلكاتهم والتقاتل فيما بينهم لمحاولة الاستقلال وهذا بالتأكيد سيجعلهم بمنأى عن خططي، وبهذا تكونون قد نفذتم المهمة بنجاح، واستحققتم المكافآت .

وفي الغد كان خالد يتحاور مع موسى بشأن تدخل المافيا الأمريكية في المعركة .

موسى: ـ أنت حر في قبول أو رفض شرطي، ولكن فكر فيما ستستفيده جراء ذلك، صحيح أن المافيا الأمريكية ليست متفرعة الزعماء كباقي القارات، بل هي مجرد عصابة وحدي من احمل زعامتها، فكما تعلم، أمريكا قارة قذرة، ولهذا فكل مدينه تحكمها عصابة ولم يتركوا للمافيا سوى جزء صغير لتحكمه، ولكن ذلك لا يمنع أنها ستتمكن من قلب الموازين ضدك إذا تدخلت.

ـ ولكنك لن تستفيد من هذا الشرط المجحف، فكل ما طلبته منك هو عدم التدخل.

ـ أنت من طلبك خدماتي فلا حق لك في الاعتراض على الشروط، كما انك ستحصل على علاوة إذا قمت بما طلبت منك.

ـ ربما إذا وجدت العلاوة تستحق، سيكون طلبك قابلا للنظر. ـ إذا نفذت الشرط, لن يتدخل رجالي في ما تفعله، وإضافة إلى ذلك سأكون ضمن المجموعة التي ستعزف أنغام النهاية هناك في الموزة الزرقاء، ولا تنس أنني طيار حربي سابق .

تصافح الرجلان بثقة أعلنا بها كتابة سطر جديد يحكي قيامة خالد وسقوط ما سواه.

الفصل السابع عشر

و بعد يومين، كان خالد على متن الطائرة المتجهة إلى كولومبيا، وتحديدا بين المحيط الهادي وجبال الأنديز، في محاولة لاقتحام قصر موسى في إحدى الغابات، وكان ذلك شرط الأخير لتلبية طلباته.

لفحته حرارة الشمس ففتح عينيه، أزاح الحبال التي ثبت بها نفسه على الغصن، ثم قفز إلى الأرض، وبدأ يواصل سيره في تلك الغابة التي أطلق عليها سكان شمال غرب كولومبيا "غار الذئاب" .

كان من المفترض أن خطر الذئاب قد زال بشروق الشمس، ولكن يبدو أن ذئاب هذه المنطقة قد اكتسبت جرأة جعلتها تغير فطرتها، فها هو صوت العواء يعلو من جميع الاتجاهات وخطوات يسمع حفيفها و إن لم ير أصحابها.

وصل إلى منحدر صخري، وبينما هو يهم بالنزول أحاطت به الذئاب من كل جانب، وقد شكلوا نصف دائرة هو مركزها.

كان خالد خاليا من السلاح، إلا من خنجر صغير وقصبة إبر مذهبة أهداها له دايو مع علبتين من الإبر إحداهما سامة والأخرى مخدرة .

من الناحية المنطقية، كان الموقف يائسا إلى أقصى حد، ولكن يبدو أن القلب الميت كارت غير محروق للنجاة.

والآن سأترككم مع مشهد سينمائي من إخراج المعجزات التي لا تحدث إلا مره كل مائة عام.

نزع قميصه فبدا كأسطورة بدائية وهو يتقدم بيدين عاريتين لمواجهة زعيم الذئاب، الذي تقدم وحده مستهينا بهذا الكائن التافه الذي يمشي على قدمين، معركة مريعة ختمها خالد بضربة بسيف يده وجهها لعنق الذئب، كانت من القسوة لدرجه أن صوت تهشم فقراته كان مسموعا.

جثى خالد على ركبته بجانب الذئب القتيل ينتظر مصيره، فنزيف جراحه يمنعه من المقاومة ويكاد يصيبه بالإغماء راقب اقتراب الذئاب بأعين مثقلة، شاهدها وهي تتحسس زعيمها القتيل، ثم أطلقت عواء حزينا، أدارت ظهورها نحوه، ثم عادت أدراجها.

مكث غير قليل ثم حمل الجثة ووضعها في مكان منخفض من الأرض ثم أخذ يهيل عليها التراب، فقد رأى أن ذلك واجبه نحو القطيع الذي وهبه حياته بطريقة لم يجد لها تفسيرا منطقيا، سوى أن الذئاب رأت أنه يستحق الحياة بعد أن هزم واحدا منها في نزال شريف لم يعتمد فيه على ما صنعته حقارة

البشر، أنهى مرسم الدفن، صعد إلى أقرب شجرة بعد أن أشعل نيرانا ستبعد عنه الحيوانات إلى الصباح ثبت نفسه بقوه بين الأغصان، ثم غرق في غيبوبة طويلة بسبب الحمى وفي ساعات الفجر الأولى، كان يستيقظ وهو يغالب الصداع، تفقد جراح كتفه فوجدها بدأت بالتقرح. أخرج خنجره ووضع نصله فوق النار التي لا تزال متوهجة ثم اتجه نحو بحيرة قريبة، نزع أسماله على الضفة ثم أخذ يغسل جسده ويغمر ما بقي من قميصه في الماء. وبعد أن انتهى، عاد إلى حيث الخنجر والنار كمم فمه بقطعة قماش، ثم كور بقايا القميص المبتلة ووضعها على رأسه،ثم حمل النصل الذي احمر بفعل الحرارة وأخذ يكوي جراحه، وبدنه يتصبب عرقا وينتفض من شدة الألم، استلقى أرضا بعد ذلك المجهود المضني، وذهب في نوم عميق لم يستيقظ منه إلا عندما أحس بحرارة الشمس التي توسطت كبد السماء تلفح جراحه فتحرقها، نهض بصعوبة يحاول مواصلة السير، أخذ كفايته من المياه ثم تناول بعض الثمار وواصل سيره الحثيث وهو يعمل عقله ليجد طريقه آمنة يتجاوز بها القرية ويدخل القصر سرا، لكن الرياح لا تجري دائما بما تشتهي السفن، فها هو المعسكر في مرمى نظره وهو عاجز عن الدخول، فعقله لم يسعفه هذه المرة، استلقى على الأرض بتعب، أغلق عينيه، صفى ذهنه وسمى بروحه، درء عنه

كل مخاوفه جانبا ولم يعد يفكر إلا في الدخول، لكن طقوس التفكير تلك قطعت، فبعض الخطوات تحوم حول المكان حتى أن بعضها كان قريبا لدرجة أنه لو مد قدميه لأسقط صاحبها، أخذ نفسا عميقا طرد الهواء الملوث من رئتيه وفتح عينيه، لم يفكر كثيرا وهو يرى قطيع الأمس فلو كانوا يريدون مهاجمته لكان الآن ينعم بحمام من العصارة الهاضمة، ابتسم لطرافة التشبيه وأخذ يفكر في هذه التصرفات الغريبة، إلى أن زارته فكره مجنونة .

لم يستطع مقاومة إغراء الأدرينالين وهو يتشعب عميقا في عروقه، أطلق عواء عاليا جعل القطيع يقف متأهبا ثم انطلق يركض نحو بوابة القرية.

لمعت عيناه بإثارة وهو يري الذئاب تتبعه، اقتحم جيش سليمان القرية وتعالت أصوات الصليل والزمجرة، لم يكن كون خالد غريبا ليجلب الانتباه في خضم هذه المعركة، فاستغل هو الفرصة واتجه نحو القصر الذي كان ذا فخامة ظاهرة، مقارنة بأكواخ الخوص حوله.

كان الطابق السفلي يحتوي على صالة عملاقة تجاوزها خالد وهو يذهب إلى الدرج، كان الطابق الثاني خاليا أيضا لكنه وجد ضالته في شرفة في الطابق الثالث والأخير، كان موسى مستندا إلى الشرفة يراقب المجزرة التي تحدث في الأسفل بين الذئاب ورجاله، وهو عار إلا من فوطه لفها حول خصره

بإهمال، حاول خالد أن ينبئه بوصوله ولكن يبدو أن الأخير كان يعرف بالفعل، وقبل أن يحاول التكلم أشار له موسى بالصمت، ثم اخذ رشفة من كأسه ذي المشروب الأحمر، وعاد يراقب المشهد البشع بابتسامه مختلة.

سرعان ما انصرفت الذئاب وقد أصيب نصفها بإصابات سطحية وقتل منها عشرون رأسا، لكن رجال موسى لم يحالفهم الحظ خمسون قتيلا ومجموعة فنية من فاقدي مختلف الأطراف بلغ عددهم أربعة عشر شخصا.

قطع خالد إحصاءاته، عندما لكزه موسى في جنبه وهو يطلب منه تفسير العمل المذهل الذي قام به في التحالف مع الذئاب .

ـ لا أعلم حقا، ولكن التفسير الوحيد الذي تحضر فيه بعض قوانين الغابة، هو أني عندما هزمت زعيمها اعترفت بي زعيما عوضا عنه، ولهذا شاركتني في مهاجمة القرية، وأما الآن وقد علمت أن خرق قوانينها، خير من خرق أحشائها على يد سفاحيك، فقد تركتني وولت.

ضحك موسى بهستيرية وهو يربت على خالد بقوة، ثم قال :

ـ بوصولك إلى هذا الموطئ، تكون قد نفذت الجزء الخاص بك من العهد، وها أنا ذا أعدك وعد شرف بأن رجالي لن يكون لهم حضور ضدك في الصراع، كما أعدك أنك ستجدني حاضرا عندما تحتاجني، والآن يمكنك الذهاب إلى

الحكيم ليعالج جراحك، وبعدها اذهب ونل قسطا من الراحة وعندما تود الرحيل ستقلك مروحيتي الخاصة إلى المطار .

الفصل الثامن عشر

كان خالد يجلس عاقدا ذراعيه في غرفة الاجتماعات في منزل عائلة حرب، فقد مرت عشرون يوما منذ أن افترقوا وها قد حان الوقت ليجتمعوا ثانية.

ما إن دقت الساعة معلنة تمام التاسعة صباحا، حتى كان الزر الأحمر قد ضغط، والإنذار يصفر في جميع الغرف، ولم يلبث مليا حتى كان الجميع قد حضر.

بعد ساعة من النقاش، كان الجميع قد قدم تقريرا مفصلا عن ما قام به في الأيام الماضية وكانت النتائج مرضية كالآتي؛ شحنة السلاح قد تم دمجها بشحنة المحركات، وهي تستعد للنقل في الميناء, التصميم المريب لمنزل حمزة يقترب من الانتهاء والشركة الوهمية، تعمل على أكمل وجه كما أن القائمة التي قدمها تم الانتهاء منها، خاصة وأن دايو أرسل هدية تحتوي على رئيس المافيا لإحدى الدول الإفريقية مكبلا .

بعد طرح التقارير، صمت الجميع ينتظرون خالدا الذي ربع يديه أسفل ذقنه وغرق في المستقبل، اعتدل في جلسته بعد بضعة دقائق ثم وقف وأخذ يجول في أنحاء القاعة وهو يرمق الجميع بصرامة قبل أن يقول:

ـ أعتقد أن الجميع قد أدوا مهامهم بإتقان كامل، مشكورون على ذلك، ولكن، باستثناء حمزة سيغيب الجميع عن الأدوار الأساسية في الجزء الثاني من القيامة، فحضوركم سيجعلكم عرضة لكل من تسول له نفسه الانتقام، ولهذا فعندما تسافرون صحبه الشحنة إلى روسيا، ستأخذون معكم كل أفراد العائلة، وتمكثون شهرا إلى أن ينتهي كل شيء.

تدخل دياب في الحوار لأول مره وهو يجيب باستهزاء:

ـ أنت أحمق حقا، ألا تعلم أن اصطحاب العائلة والبقاء شهرا في حين أن الصفقة لا تتجاوز خمسة أيام، سيعرضنا لخطر التصفية ولا يمكنك أن تطلب منها التحجج بالاستجمام فلا احد يتغيب عن اجتماع القمة الإفريقية للمافيا ليلعب بالثلج في موسكو، فهذا سيكون بمثابة قول "نحن أولى المرشحين للشك."

قطعته جلنار وهي تضحك وتقول لخالد:

ـ يمكنك إكمال كلامك، وكما يقول المثل، "إذا نطق السفيه فخير إجابته السكوت" .

انتفض دياب بعصبية وهو يصيح بها:

ـ ما الذي تقصدينه بهذا المثل ؟الأولى أن يكون هو محل سخريتك، لا أنا، لقد جعلته بعض الصدف بطلا في نظركم، بطلا تتغاظون عن أفعاله الخرقاء.

ردت عليه جلنار بهدوء وعمق:

ـ الحرف النقي يفسده التفسير، أما الصدف فلا أعتقد أن بإمكانها صنع أسطورة حية في قارتين مختلفتين خلال أقل من عشرين يوما .

لم يتمالك خالد نفسه، وغرق في نوبة من الضحك، ثم أرسل في الهواء قبلة إلى جلنار وعاد يكمل كلامه:

ـ بما أن منذرا كان يعتزم خطبة إيلينا حفيدة الزعيم الروسي في صيف هذا العام، اعتقد أن الموعد سيتقدم، وهذا سيكون تبريرا جيدا لذهاب كامل العائلة.

ما إن أنهى خالد كلامه حتى لمعت عينا دياب، وهو يظن أنه عثر على ثغرة في خطة خالد، فخاطبه بشراسة ـ حدوث خطبة، يعني حفلة، يعني وجود حضور وضيوف، ويعني أيضا أن زعماء المافيا سيحضرون لتهنئة زوج العصافير هذا، وبهذا ستكون خطتك التي تعتمد على التقيد بالزمان والمكان، قد ذهبت أدراج الرياح، وهذه المرة لن يمكنك إيجاد حل لهذه الثغرة،

فالحل الوحيد هو أن تأمرنا بأن نماطل في موعد الخطبة حتى ينتهي كل شيء ولكن هذا لن ينجح لأنه وبكل بساطه مثير الشبهات .

أنهى دياب كلامه، وقد تقطعت أنفاسه، وأخذ صدره يصعد ويهبط، وملامح وجهه تعكس مدى الإثارة التي وصل إليها، وهو يعتقد أنه أثبت خطأ خالد، لكن هذه الموجة من الإثارة، تكسرت فوق صخرة إجابة خالد؛

ـ تأجيل الخطبة سيكون فقط من أجل التبرير للسفر العائلة أما الوقت فالعملية القادمة ستكون أكثر من كافيه لتبريره.

تكلم ياسين وقد أخذته الحمية لولده وهو يسأل:

ـ بربك !ما هي العملية التي ستوفي شروط الأمان والضخامة في نفس الوقت .

ـ عملية شيطانية بالطبع، شحنة ضخمة من المخدرات، ستقومون بإذابة البودرة" أنت تعرف ما اقصد بالبودرة " تقوم بإذابتها في زجاجات مليئة بالجعة الرخيصة الغنية بالكحول، وعندما تصل نقوم بإحراق محتوى الزجاجات، وعندما يتلاشى الكحول المحترق، نجد أن البودرة قد عادت إلينا.

بعد هذه الخطة، كانت القاعة تضج بالتصفيق، حتى دياب وقف من على كرسيه مبهورا، وهو يصفر بإعجاب.

حياهم خالد بابتسامة بسيطة ثم اعتذر منهم، وقبل أن يغادر من الممر السري كانت جلنار تناديه، أدار رأسه في تساءل فوجدها تقول:

ـ لا يوجد نظام أمني خال من الثغرات، فهل أنت متأكد أن ثغرتك لن ينتبه لها أحد .

ابتسم في ترفع ثم انصرف، وحين غمره الظلام ابتسمت وتنهدت بعمق.

الفصل التاسع عشر

في الغد كان راكبا السيارة البيضاء الفاخرة يراقبان العمال أمام منزل خالد .
دق حمزة بأصابعه على المقود بعصبية وهو يخاطب خالدا هل أنت مصر على القيام بهذا الأمر الوحشي، تجاهله خالد وهو يقرأ التقارير عن سوابق هذه المجموعة من المهندسين الذين يعملون في إنشاء غرفة النهاية كما أسماها هو،وبعد أن أنهى القراءة، تنهد في ارتياح وهو يقول:
ـ لقد أتيت بأفضل حثالة عمال ومهندسين على الإطلاق، إحراق منازل الجيران من اجل تقاضي المال لترميمها مما أدى إلى وفاة بعض الضحايا، قضايا اغتصاب واختلاس تم التستر عليها بالرشاوي، وعشرات من الجرائم الشاذة التي لا تصدر من عقل بشري، لا اعلم لم أنت معارض لقتلهم مع أنه سيكون ذا فائدة علينا وعلى المجتمع، لا يمكننا تركهم فربما أفشى احدهم سر الغرفة.
ـ أتفق معك أنهم أبشع من أن يكونوا بشرا، لكن. ...

ـ نفذ دون أن تجادل، اليوم ينتهون من العمل، سيتقاضون المال ويعودون إلى بيوتهم وهم يفكرون كيف سيستغلونه في ميولاتهم الشاذة والوحشية، ولكن للأسف لن يتمكنوا من صرفه، لأنهم بكل بساطة لن يستيقظوا غدا .

ثم مط شفتيه في تأثر مصطنع، نزل من السيارة، ثم أطل برأسه وهو يلقي لحمزة بكارت صغير، وهو يقول:

ـ أبق على حياة ذلك المهندس الشاب حسن، وأحضره غدا عند العنوان الذي سلمتك إياه، ثم صفع الباب وغادر.

عشية ذلك اليوم، وفي مكان آخر، في أحد مكاتب مبنى المخابرات، يتواجد الفريق الوحيد الذي وصل إلى درجة التصنيف "أ"؛ زياد، محمد، رائد ونور، كانوا جميعا يقومون ببعض الأعمال المكتبية المملة، إلى أن تلقوا استدعاء من قائدهم حسام الدين، دلفوا بهدوء، وجدوه يجلس على كرسيه الوثير، وظهره إلى الباب .

يبدو ظهره أكثر ضخامة عن آخر مرة، أدوا التحية العسكرية، وأخذوا ينتظرون الأوامر، مرت عليهم عدة دقائق وهم واقفون، وقد شاع بينهم التوتر الذي تحول إلى ذهول، عندما دار الكرسي وشهدوا ما يحمله الشخص الذي كان من

المفترض أنه قائدهم، ابتسم خالد في سخرية، وهو يرى ملامحهم تعلوها الصدمة.

قلب بصره بينهم وبين ما يحمله، كانت يده اليمنى تقبض على مسدس مصوب إلى قنبلة رفعها بيده اليسرى، ترك عقولهم البسيطة تحدد الوضع بدقة قبل أن يقول بتهكم:

ـ مرحبا بأبطال العدالة الخارقين، لست بحاجه لإخباركم ما سأفعل في حالة قيام أحدكم بحركة خاطئة، ثم رفع يديه وهو يقول:

ـ فهذا المشهد يفي بالغرض .

كان محمد أول من استعاد رباطة جأشه فتقدم وجلس على أحد الكراسي وهو يقول:

ـ بما أنك استطعت اختراق المبنى والوصول إلى هذه الغرفة،أعترف بك كرجل غير اعتيادي، تستحق منا سماعك على الأقل، ولكن قبل ذلك، انزع هذا القناع.

ـ لست مهتما بانطباعك، أنا في مهمة محددة، سأنفذها وأرحل، فهذا الكرسي العفن يشعرني بالغثيان.

ـ ما الذي تقصده بعفن أيها المجرم.

ـ ظاهره صلاح، وباطنه خراب، مجموعة من السفاحين الذين ينددون بالوطنية، وعند أول بادرة تغيب هذه الوطنية والمبادئ، ويحضر المال .

قال هذا، ثم ألقى لمحمد بقصاصة من الورق.

جرت عين محمد على الحروف بسرعة، ثم ضيق عينيه باستغراب، وقد غاب عن عقله ما كان يريد قوله عندما رأى محتوى الورقة:

ـ هل أنت متأكد أن تنفيذ هذه الأوامر سيؤدي إلى القبض على شبكه المافيا كاملة، من المركز إلى أوهى الخيوط ودون أي خسائر .

ـ هل أنت متأكد أن اسمك هو محمد نور الدين ؟

ـ بالطبع.

ـ إذا اخرس، وابدؤوا في التواصل مع الإنتربول للحصول على تصاريح العمل على الأراضي الايطالية، فنهاية القيامة لن تنتظر إجراءاتكم الرسمية التافهة.

ألقى كلامه في وجوههم، وتحت تهديد السلاح، أمر محمد بتقييد زملائه الثلاثة الباقين، ليؤمن خروجه، ثم وضع مسدسه في جيبه واقترب من محمد ليقيده بنفسه، تظاهر الأخير بالرضا، وما إن انخفض خالد ليحكم العقدة حتى استغل الفرصة ووجه له ضربة بركبته أسفل فكه، وقفز إلى الخلف بعد أن فكت يداه واتخذ وضع القتال.

رغم عنف الضربة إلا أن خالد لم يسقط، ترنح قليلا ثم اعتدل واقفا، وضع يديه في جيبه ثم اقترب من محمد الذي هاجمه مستغلا الوضع، لكن خالدا خيب أمله، كان يبدو كراقص بالية محترف وهو يتفادى الضربات ويداه في جيبه، إلى أن وجد ثغرة في دفاع محمد، فوجه له ركلة ساحقة إلى معدته أردته أرضا وهو يسعل دما.

لم يهتم بتقييده مرة أخرى ثم اتجه إلى الخارج ليوقفه صوت محمد:

ـ ما ثمن هذه الورقة، هل تريد أن تعتبر كشاهد ملك، ألا تشعر بالخطر من اكتشاف أمرك أثناء العملية.

رمقه خالد بشر وهو يقول:

ـ أنتم مجرد بيادق، ستكتشفون من أنا طبعا، وربما ستقبضون علي، ولكن سيكون ذلك بإرادتي وضمن قواعدي.

الفصل العشرين

بعد شهر من هذه الأحداث، في أحد فنادق ولاية ميلانو الايطالية، كانت الطاولة تضم موسى، دايو، حمزة وخالد، يدور بينهم الحوار الآتي: ،

"مترجم إلى اللغة العربية "

خالد:

ـ بما أن رجال دايو نجحوا في مهمتهم وأبادوا زعماء القارة السمراء، لم يعد هناك ما ننتظره، هذه الليلة التي تسبق اجتماع المافيا الكبير، ستكون هناك منافسة بين دب وأحد المتطوعين الذي سيختار كضيف شرف في حالة الفوز، وسيتمكن من دخول الناطحة "بيريللي"، وهذا ما أحتاجه لتنفيذ الجزء الخاص بي من الخطة، التي سننفذها في الغد .

حمزة:

عندما أتلقى إشارتك سأرسل إلى الزعيم روبيرتو رسالة أقول فيها بأنك أتيت لقتله، ثم أثناء انشغالهم بالاجتماع، سأتسلل إلى الكمبيوتر المركزي وأقوم بمسح سجلات موسى وعائلة حرب وعائلة الروسي، وأقوم بعرض الباقي

على شاشة العرض في القاعة الكبرى أثناء الاجتماع، وفي نفس اللحظة أقوم بإرساله إلى الكمبيوتر الخاص بالمخابرات .

دايو: ـ لتسهيل دخول رجال المخابرات وعملية هروبك، بعد إنجازك الجزء الخاص بك، علي القضاء على جميع قناصي المبنى وحراس البوابة، إضافة إلى تعطيل أجهزة الإنذار.

موسى:

ـ بعد انتهائك من مهمتك ستجدني أقود احد المروحيات بالقرب من نافذة الطابق الذي تقع فيه غرفة الاجتماعات.

ابتسم خالد في استحسان وهو يرى الجميع في أوج حماسهم لإنهاء العملية التي أرقتهم أياما طويلة، ودعهم وقام متشحا بالسواد وقصد الحفل، حيث سيتطوع لمصارعة الدب.

وصل إلى البوابة، وأخذ يتحين اللحظة المناسبة للتسلل، إلى أن نجح، بعد أن أرسل الحارسين إلى حيث لا يمكنهم العودة.

كان المكان كأنه مزيج بين باحة كبيرة ومرقص فاخر، تقدم نحو الحلبة التي تحلق حولها الجميع وهم ينتظرون في حماس أن يتطوع احد اليائسين المجانين لمقاتلة ذلك الوحش الهائج.

واصل تقدمه نحو الطاولة الكبرى حيث يجلس روبيرتو وبقية الزعماء، وطلب مبارزة الدب، وبعد إمضاء ورقة يضمن فيها أنه المسؤول الوحيد عن قتل نفسه، حمل سيفا كان هو السلاح الوحيد المسموح به.

تجاهل أولئك الذين اتجهوا نحو الباب ليفتحوه، وتجاوز السياج بقفزة رشيقة تعالت معها أصوات الجماهير بالتصفيق، ابتسم في سخريه وهو يحييهم بانحناءة بسيطة. فكر في نفسه أن الإنسان هو الكائن الأسوء على الإطلاق، فهؤلاء الذين يمضون عامهم يلبسون الملابس الراقية ويشغلون المناصب المرموقة، يتخلون عن مظهرهم اللطيف المستعار في مثل هذه الليلة، ويظهرون تعطشهم للعنف والدماء، يخونون وطنهم وأماناتهم، يساعدون المافيا مقابل الحق في حضور هذه الحفلات وبعض الأوراق الخضراء.

عاد من حديثه مع نفسه على أصواتهم وهم يحثونه على التقدم،

ـ تبا! ألهذه الدرجة متحمسون لموتي.

استدار نحو القفص الإلكتروني الذي فتح للتو، كان واثقا من النجاح فدايو صنع منه سيافا لا يشق له غبار.

وقف الاثنان متقابلان، كان الدب يزمجر بوحشية والزبد يتطاير من شدقيه, بينما خالد يبتسم وهو يرخي سيفه وفي حركه مجنونة ألقى السيف بعيدا، والتحم مع الدب في صراع بالأيدي تساعده بنيته القوية، التي كانت قريبة من حجم الدب الأشهب.

استمر الالتحام بين خالد والدب زهاء الساعة، كان فيها خالد يجاري الدب الذي تمزقت عضلاته بسبب تطويحه إياها في الهواء دون أن تصيب هدفها، وسرعان ما خارت قواه، وافترش الأرض وهو يخور بتعب.

انحنى خالد وحمل السيف ثم عاد أدراجه نحو الدب، وفصل رأسه عن جسده ثم حمله واتجه نحو الزعماء وقد صم أذنه عن صراخ الجماهير، وقف أمام روبيرتو ثم وضع الرأس الدامي أمامه في تبجيل، مما نال إعجاب الأخير .

وفي تلك الليلة كان خالد ينام في جناح خاص بالناطحة.

الفصل الحادي والعشرين

جاء الغد سريعا، كانت الساعة حوالي الحادية عشرة عندما استيقظ خالد وتسلل إلى غرفة الاجتماعات، وأرسل لحمزة الإشارة .

خلال دقائق كان روبيرتو يدخل شاهرا مسدسه، وبعد معركة قصيرة بين الاثنين، كان خالد يفترش الأرض والأخير يصوب مسدس خالد نحوالجسد المسجى، ثم انطلقت رصاصة تعرف هدفها جيدا.

ابتسم روبيرتو وهو ينحني على جثة خالد المضرجة بالدماء، تحسس نبضه فوجده يكاد يختفي، فابتسم في عنجهية ثم أمر الخدم بأن يغيروا تشكيلة الطاولات بحيث تكون جثة خالد هي مركزها، ليراها الجميع ويعلموا أنه قد هزم قاتل الدب .

بدأت كؤوس الشمبانيا تدور على الجميع، وكان النخب الأول في سلامة الزعيم من الاغتيال، وفجأة، انقطع الضوء، لم يتحرك أحد من مكانه ظنا أنها جزء من مفاجآت اجتماع الليلة حتى أنهم لم يهتموا بأصوات السقوط التي ارتفعت من كل أرجاء القاعة.

عاد الضوء فجأة كما اختفى فجأة، لكنه لم يكن ضوء المصابيح، بل كان ضوء شاشة العرض الكبيرة، التي بدأت تعرض السجلات الإجرامية لكل فرد في تلك القاعة.

ظنها الجميع مزحة سخيفة من زعيمهم فغرقوا في الضحك إلا روبيرتو الذي كان يعلم أن هذا ليس من صنعه فالتفت إلى حارسه الشخصي ليستفسر عن هذه المهزلة، لكنه رأى آخر شخص يتوقعه ، فعلى الكرسي المجاور كان خالد يجلس بقميص تشرب بالدماء حتى اختلط لونه، وهو يرتشف ببطء من الكأس ويناظر الشاشة بتركيز .

وقبل أن تكون له ردة فعل، فوجئ بخليط من رجال المخابرات والإنتربول الدولي، يقتحمون المكان، أراد أن يستنجد بالحراس، لكن، وبطريقة ما، كانوا جثه هامدة.

نظر بفزع واستغراب فوجد خالدا يرفع قصبة إبره المذهبة وهو يلاعب حاجبيه في شماتة .

أثناء ذلك اقترب محمد من خالد في محاولة مباغتة للقبض عليه ولكن الأخير رفع مسدسه في وجهه وهو يضحك، ثم أخذ يتقهقر نحو النافذة، كانت لا تزال خمس دقائق تفصله على قدوم المروحية، وأثناء ذلك كان إبقاء الرائد

محمد في نطاق طلقاته أفضل طريقة لمنع الآخرين من الاقتراب منه أكمل أفراد الشرطة تقييد الزعماء وجمع جثث الحراس، وقبل أن يخرجوا, سأل روبيرتو خالدا بصوت اقرب البكاء:

ـ لقد أصبتك في صدرك بطلقة مباشرة من مسافة قصيرة وتأكدت من أن نبضك قد توقف، فكيف عدت إلى الحياة؟ .

ـ كانت الرصاصة التي أطلقتها من مسدسي مجرد رصاصة حبر، كالتي يستعملها الممثلون، أما نبضي فأوقفته باستعمال أقراص خاصة. .

ـ وكيف علمت بأنني سأستعمل مسدسك عند الإطلاق كما أن وزن المسدس كان طبيعيا، ولو كانت الرصاصات فارغة لفطنت لذلك.

ـ بالنسبة للوزن، الرصاصة الأولى فقط كانت فارغة أما البقية فكانت رصاصات حية .

ـ وكيف علمت أني لن أطلق عليك رصاصتين.

ـ سادي مثالي مثلك، كنت متأكدا أنه سيطلق رصاصة واحدة، إمعانا في جعل صورة الخصم تبدو أضعف لدرجة أنه لم يكلفك سوى رصاصه واحده لقتله.

ما إن أتم خالد كلامه، حتى سمع صوت المروحية تقترب، فحطم الزجاج، وهم بالقفز حتى استوقفه صوت روبيرتو وهو يقول بيأس: .

ـ ربما استحققت الفوز

فأجابه خالد باختصار، وجسده سابح في الهواء استعدادا لالتقاط سلم الحبال الذي يتدلى من الطائرة:

ـ أعلم ذلك بالفعل.

الفصل الثاني والعشرين

بعد أيام قليلة دخل خالد بهيئته الساحرة إلى مقر أحد القنوات التلفزية المصرية المشهورة، تلبية للدعوة بعد نشر كتابه الأخير .

دخل خالد بثقة وهدوء إلى حجرة البث، ابتسم في وجه المقدم الذي لم يكن سوى الرائد محمد، والذي توتر عندما رأى عدم مبالاة خالد بوجوده، ولكنه أخفى ذلك ثم وجه الكلام لضيفه:

ـ نريد أن نشكرك على ما قدمته للعالم من سلام، و إن كان مؤقتا، بمحو منظمة إجرامية كالمافيا من الوجود، لا أعرف كيف فعلت ذلك، ولكنه أمر مستحيل لشخص واحد، قد تكون عظيما لا يجود به الزمن إلا مرة كل قرن، ولكنك تبقى مجرما والقانون فوق الجميع.

ثم فرقع بيده ليدخل من الباب دستة من الجنود المسلحين أحاطوا بخالد الذي ابتسم في سخريه وهو يمد يديه إلى الأمام، تقدم منه محمد بحذر ليصفده وهنا وقعت المفاجأة كانت الأصفاد تمر عبر يديه، وكأنه مجرد سراب أو مادة سحرية، مما جعل الجميع في حاله فزع وتأهب شديدين، ارتفع صوت رنين

الهاتف القار المعد استقبال المكالمات، قرب محمد الهاتف من أذنيه بيدين ترتعش.

وعبر الأسلاك كان صوت ضحكات خالد الصاخبة يقرع أذنيه كالطبول وهو يسمعه يقول:

ـ إذا أردت القبض علي، يمكنك القدوم إلى منزلي مشكورا أما تملكه في الأستوديو فهو مجرد فيديو ثلاثي الأبعاد معد بحرفية شديدة، يشبه إلى حد ما تقنية الهولوجرام.

في مكان آخر في قارة أخرى وفي غرفه جلوس عملاقة غطت نوافذها الثلوج، كان خالد يجلس بين عائلة حرب ورفاقه الذين شهدوا عملية القيامة.

أنهى مكالمته مع محمد، ثم أمرهم بفتح التلفاز.

كان احد المهندسين تحت إمرة رئيس المافيا الروسية قد استطاع تهكير مجموعة من الأقمار الصناعية من مختلف الدول، وجعلها تنقل بثا مباشرا من قبو منزل خالد في مصر.

بدأ التلفاز يعرض اقتحام القبو حيث فوجئ رجال الشرطة بانغلاق الباب خلفهم، لكنهم لم يبالوا، فذلك الشيء الذي أمامهم، كان في قمة الغرابة والرعب، مكعب ضخم من الزجاج المضاد للرصاص، وداخله يوجد مكتب

قضاء مرتفع، يتربع عليه خالد وأمامه ست منصات إعدام علق فيها ست أشخاص لا يزالون على قيد الحياة، وبينهم قائدهم حسام الدين، كان المعلقون يحاولون الفكاك من الأطواق التي تحيط برقابهم.

توقفت الفرقة عن محاولة تحطيم الزجاج، عندما رأوا خالدا وهو يستعمل مطرقة لضرب الطاولة بغية إسكاتهم، ثم بدأ يتكلم:

ـ منذ أكثر من عشر سنوات، كان هناك فتى يدعى خالدا ضعيف البنية و إن كان يحمل قدرا من الوسامة، ذو شخصية انهزامية، صنعتها مبادئ عائلته.

إلى أن أتى اليوم المشؤوم، والذي كان يسير فيه رفقة أخته في أحد الشوارع، عندما اعترضه ثلاثة فتيان في سنه، حاول أحدهم التحرش بها، كانت تلك اللحظة فاصلة في حياته، عندما ركز كل قوته في قبضة يده اليمنى وأطلقها، مملوءة بخيبات متراكمة، أصابت الجانب الأيمن من ذقن المتحرش، ليتفاجأ به وقد سقط على الأرض من فوره، ليعلم بعدها انه فارق الحياة جراء ارتجاج في المخ سببته له تلك الضربة،

كان من المنطقي أن يتم العفو عن خالد، فقتله حصل في حالة دفاع عن النفس، مع أن الظروف تقول أنه لم يكن عمدا، ولكن للأسف، كان والد القتيل أحد الرجال المهمين في عالم الإجرام" رئيس مافيا "، وببعض الرشاوي

استطاع رمي خالد خلف القضبان لمدة عشر سنوات، وهناك قرر الفتى أن يجعل من نفسه شخصا آخر يكون قادرا على تحقيق انتقامه، وها أنتم اليوم على بعد رمية حجر من هذه اللحظة الموعودة.

أنهى خالد كلامه ثم حمل ورقة، وأخذ يتلو فيها بصوت مرتفع:

ـ حسن النجار: حاول الاعتداء علي في السجن هو ورفيقه رافع ، جلال: المحامي الذي منحته العائلة ثقتها في محاولة تبرئتي لكنه باع ضميره المهني لقاء المال وحاول توريطي بكل وسيلة ممكنة.

كمال: القاضي الذي منح قانونا لينتهجه في أحكامه فاستبدله بنهج خططته الأوراق الخضراء ودفن زهرة شبابي في السجن المعتم لأجل مجموعه من الدولارات، منعم: رئيس المافيا قاتلي ووالد قتيلي .

ثم نقدم لكم كمسك للختام حسام الدين: مدير مكتب المخابرات العامة، أقذر شخص تولى هذا المنصب لا يسعني الوقت لأشرح قذارته بالتفصيل، ولكن في خزانته السرية داخل منزله ستجدون ما تحتاجونه لإدانته، ورقمها السري هو: أربعة، اثنان، واحد، واحد، تسعه.

والآن باسمي أنا خالد القاضي والجلاد،

ـ أحكم على هؤلاء الأوغاد الستة بالموت، ثم ضغط على أزرار جهاز التحكم الموضوع أمامه ليتفاجأ الجميع بنوافير من الدم، وستة رؤوس تتدحرج على الأرض، فقد كانت الأطواق جوفاء يخرج منها منشار دائري حال الضغط على الزر.

لم يكن أحد يعلم بهذا الجزء من الخطة من الحاضرين سوى حمزة، لكن خالدا تجاهل حيرة الجميع واستنكارهم واستيائهم أو ربما تعاطفهم، ثم أغلق التلفاز وغادر إلى الغرفة الخاصة به وترك الجميع خلفه.

سألت جلنار حمزة:

ـ كيف يوجد خالد هنا وهناك في نفس الوقت؟ هل ذلك قناع؟

ـ لا ولكن خالدا أمر بإجراء جراحة تجميلية للمهندس الشاب الذي كان ضمن البعثة التي صنعت القفص الزجاجي، وكشرط لعدم قتله أمره بانتحال شخصيته، فهو يماثله في الجسد، وأمره بقول تلك الكلمات.

ـ ولكن هل سيعفو عنه حقا ؟

ـ أبدا فما إن يحاول الوقوف عن الكرسي، ومن أحد ثقوب قاعدة الكرسي، ستنطلق إبرة سامه ترديه في الحال وهكذا يزيف خالدا موته، ويواصل حياته بين كتبه كما يشتهي.

ـ ولكن تحاليل الطب الشرعي ستثبت أن الجثة لشخص آخر.

ـ التحاليل جاهزة وسيتم استبدالها، فخالد خطط لكل شيء.

بعد قليل، كان خالد في غرفته يناظر غلاف روايته الجديدة التي كتبها كسيرة ذاتية، أسماها "قيامة" وقد ذيلها بالاسم المستعار الذي اختاره ليواصل به حياته كمؤلف.

وهناك، على النافذة المقابلة، كان شخص ما بملامح حادة بجمال يرمق خالدا بابتسامة إعجاب و إكبار.

يبدو أن ندف الثلج ستكون شاهدة على ولادة حب دافئ بين جنبات مملكة الجليد "موسكو."

تم بحمد الله.